أراغون شاعر المقاومة



المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:

بيروت، ساقية الجنزير، بناية
برج الكارلتون، ص.ب: ٥٤٦٠-١١
العنوان البرقي: موكيالي، هـ ٨٠٧٢٩٠٠٨
تلكس: LE/DIRKAY ٤٠٠٦٧

التوزيع في الأردن:

دار الفارس للنشر والتوزيع: عمّان
ص.ب: ٩١٥٧، هاتف: ٦٠٥٤٣٢، فاكس
٦٨٥٥٠١ - تلكس ٢١٤٩٧

الطبعة الأولى

شباط (فبراير) ١٩٥٩

الطبعة الثانية

١٩٩٤

ارا غون شاعر المقاومة

مالكولم كولي   بيتر . ك . رودس

ترجمـــــة
عبد الوهاب البياتي   و   أحمد مرســي





آراغـــون

بريشة الفنان هنري ماتيس

(نيس١٩٤٢)

اراغــــون

- ولد في ٢ اكتوبر عام ١٨٩٧
- رائد من رواد النقد الادبي والفني الواقعي
- شاعر وقصصي وصحفي وناقد كبير
- وقف بقوة الى جانب شعوب : فيتنام والجزائر، كما وقف الى جانب مصر اثناء العدوان الاستعماري
- اشترك في تاسيس مجلة «الآداب الفرنسية»
- مؤسس «اللجنة الوطنية للكتاب» وهي الجبهة الثقافية في فرنسا
- تزعم المدرسة السريالية في الشعر والادب بين عام ١٩٢٠ - ١٩٣٠
- تحول عن السريالية بعد التقائه بزوجته «الزاتريوليه» واعتناقه الفلسفة الاشتراكية ثم انضمامه الى العمل الحزبي في سنة ١٩٣٢
- كان منذ عام ١٩٣٢ - ١٩٣٩ من اقوى المناضلين ضد الفاشية والحرب
- منذ ١٩٤٥ وهو يدير الحركة الثقافية والادبية النقدية في فرنسا بوصفه رئيس تحرير «الاداب الفرنسية» ومدير دار «الناشرين الفرنسيين المتحدين» ونائب رئيس «اللجنة الوطنية للكتاب»
- سجن خمس سنوات بسبب كتابة قصيدة «الخطوط الامامية الملتهبة»
- عمل فترة من الوقت محررا في كل من : «الاومانيتيه» وسي سوار»
- من مؤلفاته الشعرية «قلب كسير» و «عيون الزا» و «متحف جريفان» و «ديانا الفرنسية»
- يعتبر كتابه «احاديث الغناء الجميل» من أهم ما وضع في نظرية الشعر المعاصر
- اجمع النقاد على اعتباره من كبار كتاب القصة الواقعية لاعماله القصصية الرائعة وخاصة سلسلة «العالم الحقيقي» التي تشمل «اجراس مدينة بال» ثم «الأحياء الجميلة» و «المسافرون على عربة امبريال» و «اورليان»
- اصدر في مجال النقد والنظرية الجمالية : «بحث في الاسلوب» «الثقافة والانسان» «من اجل واقعية اشتراكية» «ستندال» «الآداب السوفيتية»
- لعبت «الآداب الفرنسية» التي يراس تحريرها دورا هاما في التعريف بادب شمال افريقيا العربية «المغرب وتونس والجزائر» .

١ الفاشست والثقافة

لويس اراغون أحق الناس بأن يوصف بشاعر الحرب الكونية الثانية، بما فيها من هزيمة ونصر في اوربا الغربية، ولكنه ليس شاعر الحرب الأوحد بأية حال من الأحوال؛ ففي وطنه فرنسا الذي اصاب انتعاشاً في سني هزيمته نجد ايضاً : بول ايلوار وبيير جان وجان كاسو وهنري ميشو ولويس ماسو وبيير عما نويل وباترس دي لاتور، هذا اذا اقتصرنا على ذكر القليل من الاسماء التي عُرفت اكثر من غيرها. اما في انكلترة وامريكا فمن الصعوبة بمكان احصاء الشعراء المجندين في القوات المسلحة، ولكن معظمهم كتبوا عن الصراع بالنسبة الى انفسهم، فقد ظلوا في الحرب كما كانوا في السلم يحملون نبضاتهم الروحية. على ان اراغون نسي نفسه في الصراع فتكلم عن طنه المغلوب على امره وهو الشاعر الوحيد الذي ترك سجلاً حافلاً بالانفعالات السائدة في زمن الحرب، تلك الانفعالات التي كانت تُستشعر على نمط جمعي منذ اول صدمة للتعبئة حتى فرحة باريس المحررة. ولحسن حظه، كشاعر، كونه فرنسياً اي مواطناً في بلد احتله النازيون واملّوا ان يحكموه بالدهاء قدر ما

يحكمونه بالقوة، فهم لم يحاولوا هدم الثقافة الفرنسية ولم يسجنوا او يعدموا معظم الكتّاب كما حدث في تشيكوسلوفاكيا وبولندا، ولذا رأينا ان الشعراء الفرنسيين استمروا في نشر اعمالهم وقد اجازت رقابة (فيشي) بعض هذه الأعمال واستمر الشعراء في اعلان ثورتهم على الألمان وعلى حكومة فيشي الخائنة. وهكذا نجد انهم تفوقوا – كشعراء – على شعراء بريطانيا وامريكا الذين كانوا يخوضون المعركة في زيهم الرسمي، حيث ان الرجل في زيه الرسمي يشعر بأن المسؤولية قد ازيحت عن كتفيه. فالحرب ليست حربه ولا اهمية لمدى ايمانه بها ومدى ما يقوم به من تضحيات في سبيل النصر، فهي لا تزال كما كانت في الماضي، حرب القادة والجنرالات وقتال الجنود، أما في فرنسا فالحال يختلف كل الاختلاف، فقد كان كل رجل يقاتل تحت إمرة نفسه حتى يذعن اخيراً وبارادته الى تعليمات رفاقه.

وقد قال اراغون في معرض الحديث عن الحرب الأخرى : [«يفوق الخارج على القانون الجندي في شجاعته، لأنه يعمل لنفسه» وفي فرنسا كان رجال المقاومة خارجين على القانون. وكانت جميع الأشياء تتآمر على وقف القتال مثل الصحف والراديو والبوليس الى جانب مصالحهم الشخصية. وقد امتحن الرجال ضمائرهم في كل بقعة من بقاع فرنسا فمنهم من آثروا القبوع في منازلهم سالمين ومنهم من عادوا الى الكفاح، لا كجنود مبتدئين بل كرجال...]

يجيد الشعراء عندما يحققون ذواتهم كرجال مفتردين وكثوار ايضاً، وعندما يتكلمون عن حكومة او حزب حاكم، حتى لو نظروا إلى ذلك نظرة اعلاء خالص، تشوب شعرهم مسحة رسمية، ويبدو متعقلاً، جاف المفاصل، مثل دبلوماسي عجوز، أو قد يتلافى تلك القيم بادّعاء سذاجة زائفة مثل اغرودة الآنسة «Milly»عن «Lidice».

غير ان الشعراء الفرنسيين الذين خاضوا معركة المقاومة قد توفرت لهم ميزة التحدث كأفراد ولكنهم شعروا في الوقت نفسه بواجب اجتماعي لا يستوعبه الشعر الا في اوقات الاضطراب، وهو الوقوف في وجه حكومة فيشي لكي يحتفظوا بروح الحرية نابضة في امتهم. ولم يكن من المستطاع تحقيق هذا الواجب عن طريق الروايات أو المقالات أو المسرحيات (لو ان بعضها حمل رسالته الخفية) أو الأحاديث الاذاعية أو المقالات الصحفية (حتى تأسست مطبعة رجال المقاومة) فجميع وسائل التعبير المذكورة أُحكم الحفاظ عليها. فاكتشف الشعراء، بشكل ما انه قد تهيأ لأداتهم مزايا لم تُمنح لغيرهم، فيمكن بما لها من قوة الايحاء ان تثير العواطف وتقودها الى دروب العمل التي قلما يؤدي اليها النثر، كما ان كون القصائد قصيرة ييسّر نسخها وتناولها من يد الى اخرى، كما ييسّر استظهارها كما قد استظهرت واذيعت بين الناس قصائد (اراغوان)،

اي ان في وسع هذه الاداة ان تلعب نفس الدور الذي لعبه الشعر في العصر الهوميري خلال العصور الوسطى. اما الشعر في انكلترة أو الولايات المتحدة فلم يحاول غالباً ان يؤدي وظيفة اجتماعية. فالشاعر هناك، سواء أكان جندياً او مدنياً، لا يكتب عادة كفرد فحسب، بل كرجل يعارض الجموع من اهالي وطنه، فهو عندما يقول (انا) انما يعني بالذات (ليس – هم) أو (لا – مثل – الرجال – الآخرين). وتكلم اراغون، كفرد في قصائده التي كتبها خلال سني الحرب، عن جميع الفرنسيين الوطنيين : فهو عندما يقول (انا) يعني كلمة (نحن) ايضاً. وينطبق هذا على قصائده التي كتبها خلال الشهور الاولى من الفراغ والشك في الجبهة الامامية، عندما أعلن المرة تلو المرة (لست احدهم) :

لست منهم، لأن لحمي الآدمي

ليس بفطيرة حتى يُقطع بالسكين،

لأن النهر يبحث، فيجد البحر،

لأن حياتي تحتاج الى اخت لها

لم يكن منهم، لأنهم (وقد يكونون ألماناً أو فرنسيين) تنكروا للانسانية عندما خلعوا على انفسهم سمة الرجل المتفوق. انما كان رجلاً مثل الجنود الآخرين. وقد تكلم عنهم بشكل مباشر في ازمتهم

كما تكلم عن الامة الفرنسية المغلوبة. ويقول (اندريه جيد) : «يوجد دائماً في كل مجال طريقان او اتجاهان او حزبان – وكلما تعددت الاتجاهات كان افضل – كما هو الحال في هذا الصدد، فهناك الشعر المعاكس (بما لهذه الكلمة من معنيين وهما التأملي والمعاكس شأن المرآة) ويقابله من الجانب الآخر الشعر المباشر. وقد نبعت جميع روائع الشعر العقلي بفرنسا من الاتجاه الأخير أي من الشعر المباشر. واني لأتوقع ان تنبع نهضتنا من ذلك الجو النفسي الذي ألهم اراغون قصائده في – قلب كسير –». ومضى حتى استخلص خاتمة قصيدة اراغون (المنطقة غير المحتلة) التي كانت ذائعة وقتئذ عام ١٩٤١ :

«ساعة اثر ساعة، دون راحة

بحثت عن شجو منسي

حتى فجر سبتمبر

...

عندما كنت راقداً بين ذراعيك، مستيقظاً

سمعت من يغني في الخارج، وقت السحر

اغنية فرنسية قديمة

ثم عرفت من شجوي، الجذر والفرع

موسيقاه مثل قدم عارية

أثارت البركة، حيث يرقد الصمت في الليل المديد»

هناك بساطة جوهرية في القصائد التي من هذا القبيل، وبالرغم مما تتضمنه من تجارب ادائية سواء في نهج القافية المتداخلة او الصور الجياشة أو الغامضة احياناً، فالعاطفة نفسها تبقى واضحة دائماً. وقد أعاد اراغون المعاني القديمة الى الكلمات مثل (الحب) و (الشجاعة) و (الوطن) فكتب في احدى قصائده : «دعني أقُلْ..للجماهير : ان الشمس هي الشمس» وكأنه يقول ان الموت هو الموت وأن الحب هو الحب وان فرنسا المهزومة لا تزال وطنه وان الحرية ليست من تعابير الخطباء فحسب، لكنها شيء جدير بأن يضحي المرء بنفسه في سبيل استعادتها، كما كتب في (ورود عيد الميلاد) في تحية أول رجال أُعدموا جزاء دورهم في حركة المقاومة :

«نويل، نويل! هذا الشروق الخابي

أعاد اليكم ايها الرجال ذوو الايمان العفيف

الحب الذي يموت المرء في سبيله بصدر رحب

والمستقبل الذي يعيد الحياة الى موته»

أعادت الحرب الى اراغون العالم الذي تؤدي فيه الكلمات

معناها الحقيقي، حتى المبتذل منها الذي يصف التجارب الانسانية. فكان مثله مثل مسافر يعود الى قريته بعد سنوات فيجد جميع الاشياء مألوفة، الا ان قيمتها قد تغيرت، لأنها ترى من خلال عينين مختلفتين. وفي هذا تفسير لما في اروع قصائده من اثر لموقف معقد قد ضغط، خلال سنوات، الى عبارة بسيطة بساطة الاغنيات الاسكتلندية القديمة، لذا عُد اراغون مغني خط القتال في الكونية الثانية.

ونجد ان عيب اراغون الاساسي اصبح من حسنات شعره الذي كتبه ابان الحرب، فهو يكتب ببساطه متناهية، تساعده امكانيات ابداع لا نهاية لها، ولكنه يكتب احياناً بعدم اكتراث ارادي وبرغبة في تتبع القافية او الصورة حيثما قادته، ويميل الى تكرار نفسه، حيث يرفض محاكاة الآخرين، وله قدرة على التركيز تخجل من يميل الى الدعة والتراخي في جيد الاعمال أو في اي عمل على الاطلاق، فأراغون يعمل اينما كان وفي اية ساعة ومع اية صحبة، فأحياناً كان يكتب في الفراش متكئاً على كوعه الأيسر واحياناً تحت دالية كرم بينما يجز الاطفال الحشائش في صخب، وفي اوقات اخرى يكتب في ركن غرفة قد اكتظت بأناس يتكلمون الانجليزية واحياناً يباغتونه بسؤال فيجيب عليهم بالانجليزية ويستمر في كتابة نثر فرنسي، وكان هذا في اوائل صيف عام ١٩٣٩ عندما شارف على كتابة ثلاثه أرباع روايته «The century was young» وكانت الرواية لا تزال ناقصة عندما صودرت الجريدة التي كان يصدرها بعد عودته

الى باريس في ١٥ اغسطس، وقد توفر لديه اسبوع من الفراغ قبل دخول الحرب بتاريخ ٣ سبتمبر، واثناء هذا الاسبوع، والعالم في طريقه الى التمزق، كتب الصفحات المائة الأخيرة من كتابه، وكان يحتفظ بالبروفات في دنكرك كما قام بتصحيحها وهو في انتظار تسريحه.

وفيما يتعلق بالشعر الذي كتبه خلال الحرب، فكانت موهبته الخاصة شيئاً ضرورياً، فلم يكن هنالك وقت للتساؤل الذاتي او لمعاناة آلام التكوين، ولم يكن هنالك متسع من الوقت للكتابة على الاطلاق الا اذا استثنينا رجلا مثل اراغون يستطيع ان ينجز عمله في الثكنات وفي القطار وفي غرف الانتظار او على شاطىء دنكرك. وعلى غير عادة الشعراء الأقل فطرة منه، يمكنه ان يخط انطباعاته وعواطفه كما يتلقاها، لذا اعتبرت المجلدات الستة التي ضمنها شعره وقت الحرب سجلاً شهرياً للقتال ووحشة الحرب المصطنعة والفزع الوحشي من الغزو الألماني كتصوير «بروجيل»للجحيم، وعبء الهزيمة الرازح التي كان اراغون ضمن أول من وقفوا تحتها منتصبين، ثم تلك الانتفاضة لإعادة فحص التاريخ الفرنسي وايجاد قوة الأُمة الحقيقية، وقوة المقاومة النامية، التي اقترحها بادىء الأمر في قصائده وعكس صورتها فيما بعد، حتى منعت رقابة فيشي اعماله، فعاد الى كتابة اغنيات القتال لتُنشر في الجرائد السرية او لتهرّب عبر الحدود وتِنشر في سويسرا، واخيراً تلك الفرحة المحمومة : «باريس، باريس حررت من نفسها» فجميع هذه الوقائع نجدها في شعر اراغون.

٢ انهيار فرنسا

ان الحرب هي التي جعلت من اراغون شاعراً مرة اخرى. فقد كتب مجموعة من الشعر في ايام حداثته، وبعد رحلته الى روسيا حوالي ١٩٣٠، كتب قصيدة طويلة «الجبهة الحمراء» التي حكم عليه من جرائها بالسجن خمس سنوات بتهمة اهانة العلم الفرنسي الا ان هذا الحكم قد اوقف تنفيذه. وخاض السياسة والصحافة والقصص الاجتماعي. وفي عام ١٩٣٩ كان محرر جريدة Ce Coir، وهي جريدة مسائية ذات نزعة يسارية كان يبلغ معدل توزيعها نصف مليون، والى جانب كتبه الاولى، نجد انه ألّف روايتين طويلتين اجتماعيتين كان توزيعهما على نطاق واسع، كما نالتا استحسان النقاد بصفة عامة، وقد اتم – كما سلف القول – رواية ثالثة. وفي اواخر شهر اغسطس أُوقفت الجريدة – ولم تصدر الرواية الجديدة على وجه الدقة – فلم يكن الوقت قد آذن بعد، لاتخاذ مثل هذا الاجراء، غير انهم وضعوا عقبات في سبيل نشرها، وكان الكاتب– وقد بلغ من العمر اثني واربعين عاماً – قد زج به في الجيش حيث امرت المخابرات العسكرية بوضعه تحت الرقابة

الشديدة، وبذلك انتهى عمله في كل من الأدب والصحافة نهاية حاسمة.

وخدم اراغون في الحرب وفي غزو فرنسا كمساعد طبيب (كان طالباً بكلية الطب لكنه لم يتم مرانه) وكان آخر ترقية له برتبة ملازم وقد عوقب في بادىء الامر لآرائه السياسية، فألحق بفرقة اشغال تتألف اساساً من اللاجئين الجيكوسلوفاكيين والاسبان، اي من افراد لا يؤمن جانبهم في الجبهة ولا عمل لهم الا حفر الخنادق فحسب. الا انه نجح فيما بعد بالانتقال الى قسم المحركات الخفيفة، ولم يكن لديه من العمل غير القليل وذلك حتى الشروع في القتال، وفي ساعات وحدته، عاود كتابة الشعر. ويمتاز هذا الشعر بحذق ادائي باهر، غير ان اهميته ترجع الى انه عبّر عن التصدع وحنين الجيش لفرنسي اجمعه الى الوطن.

وكان اراغون ينهي «القصيدة المبتورة» في الصباح الباكر ليوم ١٠ مايو ١٩٤٠ عندما جاءته اوامر ليلتحق بفصيلة مدرعة كانت تعبر الحدود الى بلجيكا في مقدمة قوات الحلفاء الرئيسية. وكان على الفصيلة اكثر من مرة، خلال الهجوم اللاحق لذلك، ان تدافع عن طريقها من مؤخرة الخطوط الالمانية. واخيراً ضرب الجيش نفسه الحصار على الفصيلة جمعاء ونتيجة (شيء من الحظ الخلّب غير المحتمل) — على حد قول آراجون في خطاب الى احد اصدقائه — ان التحق بهم الجيش الانجليزي على شاطيء دنكرك. وكان على

الفرقة ان تترك معداتها في المكان نفسه، وكل ما حمله اراغون الى انجلترا، كما كتب في خطاب آخر، لم يتعد حقيبة النوم، وبعض قطع البسكويت الجافة، ومعطفه، وبروفات رواية غير كاملة التصحيح.

وعادت فرقته الى فرنسا بعد قضاء ليلة في «بلا يموث» فعسكرت في «برست» وتسلمت معدات جديدة، ثم رجعت الى خط القتال في «فرنون» بمقاطعة السين الادنى. وهنالك حاربت في مؤخرة الجيوش الفرنسية المتراجعة حتى وصلت جنوب «اللوار» وقد أُخذ اراغون اسيراً في بانجوليم، في اليوم الأخير للقتال، لكنه هرب تحت وابل من الرصاص مع ست سيارات وثلاثين رجلاً. وقد سرح في نهاية شهر يوليو، فلحقت به زوجه، وقضيا معاً ثلاثة اسابيع في قلعة وردية «بليموسان» ونال في ذلك الحين وساماً لخدماته في بلجيكا وآخراً لمساهمته في القتال في اللوار كما منح الوسام العسكري وهو احد ارفع قلادتين فرنسيتين، لهروبه من قبضة الألمان، وكان لهذه المجموعة من الأوسمة دورها الذي لعبته في انقاذه اكثر من مرة من بوليس فيشي. وقد وصف «بيتر رودس» مغامراته بعد التسريح وأعماله كمنظم للحركة السرية وصفاً مسهباً. أما فيما يتعلق بنشاطه في الشعر، وهو موضوع هذا الحديث، فيقع في ثلاثة عهود. يقع العهد الأول منها خلال الأسابيع التي قضاها مع (الزا) في قلعتهما الوردية، وخلال الشهور المنصرمة في كاركاسون عندما روع الشعراء الفرنسيون والمواطنون الآخرون بسبب الانهيار الفجائي الذي كان يبدو وقتئذ — كانهيار في صرح الحضارة نفسها — الأمر

الذي جعل الكتاب منهم والمواطنين لا يدركون عملاً مجدياً ليقوموا به. وخلال هذا العهد بعث اراغون بكتاب مطول الى صديق له قال في نهايته :

«قد تعذر بيع كتبي اسوة بعدد كبير من الكتاب الفرنسيين، في المنطقة المحتلة، بينما لا وجود لهذه المشكلة في المنطقة غير المحتلة، حيث ان جميع النسخ المطبوعة موجودة في باريس ويحظّر على الناشر ان يشحنها عبر الحدود. وعندما اتطلع الى المستقبل لا يسعني أن اجد اية وسيلة لأكسب قوتي ككاتب، ومن المتعذر أيضاً ان اجد لي اي عمل آخر. الا انني آمل ان اتمكن من العيش – ولو في شيء من الضيق – حتى اول نوفمبر لحرصي الشديد على ما تبقى لي من راتب الجيش، وبعد ذلك : من يعلم؟

اني اكتب القصائد، وكان في الوسع نشرها من حين لآخر طالما كان القتال مستمراً، وما زلت اكتب، لكنني احتفظ بها لنفسي. وقد شرعت «الزا» – وكتبها محظورة مثلي – في كتابة قصة طويلة، واني اريد ان تنجزها، نظراً الى ان بدايتها جد نابضة، الا ان المرء يحتاج الى قدر عظيم من الشجاعة عندما يكتب وهو يجهل مصير عمله. انها لطريق موحشة منذ تلك الأيام التي قضيناها معاً. غير اني احب ان لا يتبادر الى ذهنك ما يجعل مني متشائماً، فأنا – على النقيض – اعتقد ان اللّه يتحرك بطريقة خفية وان البوّابة – التي علينا ان نجتازها سوية. وفي بلادي، حتى عندما يسوء حظها أو

عندما تسحق، لا أؤمن الا بالعمل وحده كوسيلة للتعبير. ولم يتغير شيء مما قلته لك هنالك في منزلك الريفي، الذي احلم به اليوم أنه صورة من ايام الطفولة او مشهد من رواية.

صديقك العجوز (وقد اندس البياض في شعري) الذي لا ينساك

لويس

وتعتبر القصائد التي كان يكتبها في ذلك الحين صوراً للمعركة مثل «بساط الخوف الأعظم» أو «أغاني فرنسا المهزومة» و «ريتشارد قلب الأسد» و «الزنابق والزهور» وجميعها تتسم بما في الأغاريد القديمة من قوة العاطفة والبساطة الى جانب تصوير الأعمال الحربية في هذا العصر.

كتب اراغون جميع هذه القصائد لنفسه، لكنه أطلع عليها الكتاب الآخرين الذين تجمعوا في كاركاسون، فتداولتها الأيدي. وقد ارسل بعضهم نسخة غير سليمة من قصيدة الى الملحق الأدبي لمجلة «فيجارو» التي كانت تصدر في ذلك الحين في مدينة «ليون» بالمنطقة غير المحتلة. فقد ظهرت «الزنابق والزهور» في عدد ٢١ سبتمبر ١٩٤٠ وأعيد نشرها بعد ان قام الشاعر بتصحيحها في عدد ٢٨ سبتمبر وتوقع اناس كثيرون ان تفرض السلطات غرامه على الجريدة او ان تصادرها لتهورها بطبع قصيدة تفصح بكلمات بسيطة

عما يشعر به كل فرد، غير ان الرقيب لم يكن لديه ما يعترض عليه. وكانت هذه القصائد تلاقي حماية لدى حكومة فيشي لما اتخذته من موقف غامض. فنجد فيها كل ما كانت تدعيه الحكومة من وطنية ومن اشارات الى التقاليد الفرنسية. هذا الى جانب انها — فيما يتعلق بأراغون — عمل محارب قديم، منح الأوسمة ثلاث مرات في الوقت الذي كانت تحاول فيه الحكومة كسب ود المحاربين الآخرين، وكنتيجة لذلك، تضاعف نشر قصائد الشاعر في مجلة «الشعر» — ٤١ — وغيرها من المجلات المشروعة، وبدأ كثير من الشعراء الفرنسيين الآخرين الكتابة على نهج مشابه وكان ذلك في الشتاء الأول، الذي وصفه فيما بعد محرر (الشعر) بيير سيجهرز بشتاء مؤامرة الشعراء. وكان الآخرون، ومن بينهم اندريه جيد، يتحدثون عن «البعث الشعري» وكان لديهم ما يبرر استعمال هذه العبارة، لأن الشعر كان يلاقي اهتماماً يفوق غيره في اي عصر منذ ازدهار الحركة الرومانسية. غير ان البعث في هذا العهد كان له اساس سياسي أو اذا شئنا الدقة قلنا اساس وطني. وعندما اكتشف الكتاب مدى ما يمكن قوله شعراً دون ان تعرض اعمالهم للمصادرة، وكيف ان القصائد تقرأ بعناية خاصة، اشاحوا بوجوههم عن النثر، واصبح الروائيون شعراء، وبدأ الشعراء السابقون معاودة كتابة الشعر، فاكتشف بذلك عشرات الشعراء. وكما قال اراغون

في خطاب له بعد تحرير فرنسا. كان الشعر الجديد، في الواقع مؤامرة بين بعض الكتاب والشعراء، عن وعي أو غير وعي، لسربلة أدبنا بالنكهة الوطنية الضرورية، وللتعبير عما أراد سادتنا ألا نعبر عنه. وقصائد هذه الحقبة كتبت في شيء من الروية فقد وفر للشاعر خلال هذه الشهور فراغ لم يتأت له من قبل أو من بعد. مع ابداع في التكوين والحبكة الادائية وخصب في الايماءة التاريخية، ولم يكن في وسعه ان يهاجم الالمان هجوماً مباشراً، الا انه استطاع ان يشير الى حسرات فرنسا اثناء حرب المائة عام : ففهمه قراؤه. وقد عبر عن تمرده بوضوح، خلال الشهور المنصرمة. وبعد ان شرع الألمان في اعدام الاسرى، لم يعد في وسعه ان يعبر عن نفسه في النطاق الضيق الخاص بالأدب «المشروع» وكان نتيجة لقصيدته «الغضبى» « Francaisa»التي كتبها في الاحتفال بذكرى مهندس اعدم لمساعدته في تنظيم المقاومة، ان نصحت رقابة فيشي جميع المجلات الفرنسية بأن لا تنشر أية قصائد اخرى للشاعر. غير انه استمر في الكتابة لهذه المجلات تحت اسماء مستعارة احياناً واحياناً يذيلها باسمه، وقد نشرت معظم قصائده في الجرائد السرية وفي سويسرا بعد تهريبها عبر الحدود. كما اضطر الشاعر نفسه الى الاختفاء بعد غزو شمال افريقيا، وفي خطابه المشار اليه آنفاً والمؤرخ في ١١ نوفمبر ١٩٤٢ يقول : «عندما اخترق الايطاليون الحدود ودخلوا مدينة «نيس» رحلنا دون النظر الى اية اعتبارات اخرى، وذهبنا تحت ستار من المروق عن القانون عميق، وممتع».

وحاول في الخطاب المذكور، بعد ان وصف اعماله في حركة المقاومة ان يعطي صورة لفرنسا بعد التحرير : «صدرت الينا أوامر تمنعنا من الاشتغال بأي عمل محلي، كما تحذر الاتصال باعضاء الأحزاب المحلية وما الى ذلك، لكننا يعد لحظة معينة لم يكن في وسعنا الا ان نمد يد المساعدة الى الجموع المحيطة بنا، فأنت لا يمكنك ان تتصور فرنسا في ذلك الحين. اي الهي، لقد كانت الثمن الذي دفعناه نظير كل ما تنبض به الحياة. وكان في وسع الناس ان يتقولوا عنا ويحتقرونا، لكننا لاحظنا انهم كانوا يجهلون تلك اللحظة البطولية عندما كان كل شخص على استعداد ابداً لكي يموت في سبيل اي امريء كان، فضلاً عن انهم كانوا ضد العدو المشترك. لك ان تصدقني، فلست اتحرى البلاغة اذا ما قلت ان الحياة في هذه الأشهر الطويلة، المخضبة بالدم، اصبحت اغنية بالنسبة الينا جميعاً، وانت تعرف انه لا بد من وجود الدمع في اجمل الاغنيات، فيا للجمال الذي يبدو في صوت وعيون الجماهير عندما تغني، فهم لا يقوون على منع انفسهم من البكاء!».

وفي هذه الأيام، عندما كانت الحياة اغنية، استمر اراغون في كتابة القصائد، بل انه كتب قصيدة بالغة الطول Le Musee Grevin حيث صور كلاً من لافال وهتلر وموسوليني كأشكال نحتية في متحف شمعي وأصدرت اول طبعة منها باسم «منشورات منتصف الليل» وهي دار نشر خاصة بحركة المقاومة، وأعيد نشر هذه

القصيدة مئات المرات في جميع انحاء فرنسا في شكل ورقة مطوية طبعت بحروف دقيقة وكتب في هذه الحقبة ايضاً، عدداً من الاغنيات والمطولات لأعضاء المقاومة الفرنسية وظهرت في عشرات الجرائد السرية، وبعد التحرير جمعت ونشرت في باريس باسم «يقظة فرنسا» وكان اراغون، عندما يكتب لرفاقه في جريدتهم السرية، يشعر بالحرية في التعبير بدقة عما كان يشعر به حيال المحتل الأجنبي وحيال الخونة من المواطنين. والى جانب هذه الميزة نجد ان هنالك واجباً كان عليه تأديته، وهو الالتزام بجعل كل بيت من الشعر يشارك في المعركة مشاركة مباشرة. فالحيز في الجرائد السرية له قيمته، وان أية قصيدة تنشر فيها كما ان اية قصيدة تطبع في ورقة مطوية وتوزع مع التعرض للموت، يجب ان تكتب ويفصل فيها بالنظر الى مستويات اخرى تختلف عن مستويات اولئك الذين يعرفون الأدب بمعناه المجرد. وجميع الاغنيات والقصائد المطولة المنشورة في «اليقظة الفرنسية» تبين الألم الشامخ الذي قد وسم هذه الأيام عندما كان كل شخص على استعداد ابداً لكي يموت في سبيل الآخرين.

وقد شاعت معظم هذه القصائد، كما كانت تنشد في المعسكرات الى جانب النار، وبعد التحرير، قامت فرقة الكوميدي فرانسيز بانشادها على المسرح واذيعت بالراديو وسجلت في اسطوانات للجرامفون.

٣ البعث

دهش جنود الحلفاء الذين اغاروا على شواطىء الرفييرا في منتصف اغسطس ١٩٤٤، لدقة تنظيم قوات المقاومة الفرنسية، فكان لتعاون المقاومة الفرنسية ذات الخبرة مع جيوش التحرير المشتركة أن يسر الهجوم السريع عبر جبال الألب، ومن أعلى وادي الرون الى الألزاس في شهر واحد خاطف.

ولقد كنا على اتصال دائم بحركة المقاومة وكنا على بينة بكثير من اعمالهم الجسورة ضد الغزاة الألمان. وكان من المتوقع ان نتلقى بعض المساعدة، الا اننا لم نطمع في شيء ولو في نذير من تلك التحركات الباسلة والمذهلة، التي ساعدت على تقدمنا. وقد وجدنا تنظيماً اكثر تعقيداً مما كنا نتوقع، تيسر وجوده في ظروف الكفاح الخطرة.

وكان ذلك حقيقة، لا في التنظيم العسكري والفكري فحسب بل في تنظيم جميع أوجه الحياة المدنية ايضاً، وقد ذهل منا اولئك الذين كانوا مسؤولين عن المساعدة الفرنسية في اقرار وسائل الاستعلامات العامة اثر الترتيبات المباغتة لاعداد كافة انواع وسائل

النشر، فوجدنا في كل مدينة ناشرين على استعداد لاصدار اول جرائد رسمية وذلك بعد التحرير بساعات قليلة، وكانوا على استعداد لأنهم كانوا ينشرون جرائد سرية لما ينوف على ثلاث سنوات تحت رقابة فيشي والاحتلال الألماني، وعندما كان الموت أو الترحيل هو الثمن الذي يدفعه كل من يقبض عليه، فقد عرفوا كيف يصدرون الجرائد في اية ظروف كانت، وكم بلغ بهم الحماس لعملهم عندما اصبحوا احراراً.

وفي «جرينوبل» قلب حقل «الماكي» بالألبين، وجدنا جماعة من رجال الصحافة على اهبة العمل بالاشتراك مع اندريه روسو الناقد الأدبي الكاثوليكي بجريدة «فيجارو» فهو اول من اخبرنا كيف تجمّع الكتاب والمثقفون الفرنسيون وعلى رأسهم لويس اراغون في «ديوليفيت» وهي مدينة بروتستانتية صغيرة في جبال مقاطعة «دروم». وقال ان اراغون كان على اتصال مستمر برجال الصحافة، وبصفته رئيس «جمعية الكتّاب القومية» في المنطقة الجنوبية بفرنسا، اشرف على عملية النشر السرية وساعد في اختيار الرجال الذين قد يعملون في يوم التحرير. كما اخبرنا ناشرون محليون في انحاء المنطقة عن مساعدة اراغون لهم في جمع المحررين وتنظيم تملك الآت الطباعة حتى لا يخربها الألمان في تقهقرهم، واخفاء كميات الورق حتى يستأنف النشر عقب رحيلهم مباشرة.

وقد حررت – في ذلك الحين – منطقة الجبل الواقعة بين الأزير ووادي الرون بعد معركة «مونتليمار» عندما شتتت الفلول الامريكية الزاحفة عبر جبال الألب، ثلاث فصائل المانية كانت تتقهقر من مارسيليا. وكانت لاتزال فرقنا الامامية تشق طريقها الى ليون. وكان من الصعب ان تجد اياً من محرري الصحف والكتاب الذين كانوا يعرفون ما يتعلق بأراغون فكل ما كانوا يعرفونه انه باق في المنطقة المحررة.

وكان اراغون لا يزال تلك الشخصية المارقة التي كانها خلال عهد المقاومة السرية، غير ان الناس جميعاً قد اكدوا لنا انه حي وفي منتهى النشاط. فقد رأوه بين وقت وآخر خلال الكفاح السري، وقد ظهر شخصياً في بيت صديق أو في مطعم معين ليأخذ طعامه في هدوء أو ليناقش منشوراً هاماً يجب ان يكتب ويطبع ويوزع لفضح آخر فظائع ارتكبها الألمان وكتائب الميليشيا الفيشية. وقد نشر كثير من هؤلاء الرجال جرائد سرية، فيها مقالات لكتاب لم يروهم ابداً، وهم واثقون ان العمل لابد ان يتم ويسلم الى رجال المطابع الذين لا يعرفونهم.

وقد بث اراغون شيئاً من وهجه وحرارته وعزمه في كل من هؤلاء الرجال.

وجميع هؤلاء من الكاثوليكيين الى الشيوعيين كانوا يكنون لأراغون عظيم الاحترام فقد عرفوه لا لقصائده فقط التي جعلت منه صوت المقاومة الفرنسية سواء في الوطن او الخارج، بل بصفته ذلك الرجل الذي ساعد في اعادة الثقة باعمالهم والذي ساعد في حل كثير من مشاكلهم. وقد بينوا كيف استعمل جمعية الكتاب القومية لضم المحامين والاطباء والممرضات والصحفيين والقضاة في جماعات فعالة اخرى تخدم حركة المقاومة.

وفي يوم ما كنا قد ذهبنا في مهمة عبر جبال هذه المنطقة الموحشة، من خلال الفركور والدروم الى ديوليفيت للبحث عن كتاب آخرين احتاج اليهم روسو لتشغيل راديو جرينوبل، اول محطة عادت الى البث بعد التحرير. وقد اخبرونا في ديوليفيت اننا قد نعثر على اراغون وزوجه الزاتريوليت في قرية سان دونات الصغيرة، في انتظار رحيله الى ليون حالما تدخلها كتائبنا. كما عرفنا اسميهما المستعارين والطرق المؤدية الى بيتهما.

وقد قطعنا من ديولفيت عدة ساعات تحت عاصفة من العواصف الجبلية المفاجئة الزاحفة من جبال الألب، وكنا نشعر ببرد قارس في عربة «الجيب» المكشوفة ذات السقف الضيق المصنوع من القماش. وكانت هبوات الريح تلفحنا مع البرد والأمطار المتجمدة. وانقطع

المطر وسقطت في الأفق شمس حمراء وضوأت شعاب السحاب
العاصف المنزلق على الجبال البرية بينما كنا نتسلق التلال من
«رومانز» الى سان دونات.

وفي لحظة وصولنا كان لويس اراغون والزاتريوليت قد وضع
بالفراش آخر عدد من جريدة التحرير La Drome en ARMES فرحب
بنا في حجرة جلوس ضيقة تقع بالطابق السفلي. وصاح لويس من
خلال درجات السلم المنحدرة الضيقة : «الزا»، دعي العمل
بالجريدة واسرعي بالنزول. فقد اتتنا حكاية جديدة، تعالي وانظري
من هنا!... وهرولت والقت بنفسها بين اذرعنا.

وتحدثنا ساعات طويلة، وكنا نرتعد باديء الأمرحتى شعرنا
بدفء داخلي اثرالنبيذ الدافيء النييء الخام الذي اخرجه اراغون
في كرم لهذه الفرصة الطيبة. وقال : «لقد اعددناه بانفسنا في
الخريف الماضي». «ليس لدينا فحم ومن الصعب الحصول على
خشب. اني آسف لأنه ليس في وسعنا ان نقدم لكم ناراً لتجففوا
نفسكم. وعلى أية حال فيمكن ان تقتلوا هذه الرعدة بهذا
المشروب» وتحدث قبل كل شيء عن حالة مواطنيه العقلية وانسابت
منه الكلمات في اشارات مفصحة وفي عجلة من كان يود ان يقول
هذه الاشياء لشخص امريكي منذ زمن بعيد وحذرنا من اغاني

البروباجندا النازية التي لا تزال في اذهان بعض الناس اثر الاحاسيس الفسيحة التي نجمت عن سني الاضطهاد.

وقال : «لقد عانينا الكثير، وبصفة خاصة من الناحية الروحية، فلا يمكنك ان تعرف معنى ان تعيش كل يوم وانت تجهل ما سيأتي به الغد. فربما يختفي احباؤك او اهلك او تختفي انت نفسك. أو قد لا ترى أثر من تعرف وتبجل وتحب من الناس عندما تعرف بعد اشهر انهم قد اعدموا أو رحلوا حيث ينتظرهم اسوأ المصير في احد معسكرات العبيد في المانيا، او عندما تعرف ان كل كلمة وكل فكرة وكل عمل في سبيل وطنك واي احتجاج في سبيل حرية التعبير قد يكون جواز سفرك الى العالم الآخر. أو عندما ترى قوةمواطنيك المادية والمعنوية تتسرب وتُضيّع وتُفتّت عن قصد، وبأثم عدواني عن طريق عدو خبيث يدرك اهمية العقل وقد درس بحذق كيف يقوم بتسميمه. وانت تلاحظ هذا السم يُقطر من جهاز دعاية واسعة النطاق، التي تُحقن في عقول البسطاء من الرجال والنساء في كل مكان، وانت تلاحظ اثر الشك والخوف والريبة القارص على هؤلاء الذين كانوا من الشجاعة حتى انهم عادوا الى القتال. انت لا يمكنك ان تعرف معنى هذه الأشياء، فعليك ان تعيش هنالتفهمها.

«لا تنس ان تعامل مواطنينا كحلفاء موضع امانة وثقة. فنسيان

هذه الأشياء قد يثبط من هممنا او قد يخدش معنويتنا وشجاعتنا التي قد دعمها الحرمان والتوتر والانتظار والبؤس. أخبر من تعرف من الامريكان واولئك الذين تعمل معهم ان يحترموا ما صنعته فرنسا. فساعدوها في عملها المضني لاستعادة قوتها وثقتها. وانشروا فيها المساواة التي اكتسبتها بكفاحها».

لقد كان التماساً منفعلا، التماساً شاعرياً سمعناه مرات عديدة، وكان يعبر عنه دائماً في تردد بيّن، فلم يلتمس منا احد ان نفهم، بل طالبوا به كحق. وفي هذا المساء بدأنا نصغي الى اراغون وهو يجيب على سيل الأسئلة التي انهلنا بها عليه، عن اول تفاصيل لتلك السنوات الأربع للكفاح ضد محاولة الألمان لقهر روح الشعب الفرنسي فقد لعب أراغون في هذا الكفاح دوراً مهماً منذ اليوم الذي ترك فيه عمله بجريدته لتلبية نداء التعبئة في اغسطس ١٩٣٩. وقد ألممت بكثير من التفاصيل بواسطة زملاء عملوا مع اراغون في اوقات مختلفة. والى جانب نشاطه في التنظيمات، فهناك نتاجه الأدبي الرائع خلال سنوات الاحتلال الاربع. وعندما ينظر المرء في الأحوال التي اضطر ان يعيش ويعمل فيها، وهو مطارد من النازيين وميلشيا فرنسا الفاشية، تبدو قصة غير قابلة للتصديق.

* * *

وفي يوم الهدنة ٢٥ يونية، وصلت اراغون برقية من الزا تريولت

من بوردو، وقد ارسلت بتاريخ ١٣ يونيه ومنذ ذلك التاريخ احتل الالمان بوردو، ومع ذلك ارسل اراغون رداً على البرقية وبعد ايام قلائل لحقت به زوجه في عربة بجافرلهاك في دور دوني، حيث انسحبت فرقته مع اول تعديل لخط الحدود. وعاشت معه في مركز القيادة حتى سرح في ٣١ يوليو.

وقد حان الآن وقت العمل من جديد، لكن الزا بجانبه، فشعر بكسبه أكثر من نصف المعركة. فذهبا الى قلعة رينودي جوفينيل في منطقة كوريز حيث قد بقيا ثلاثة اسابيع، بينما كان يفتش عن ملابس مدنية ووجد ان «جاليمار» ناشر اعماله كان يعيش في كاركاسون. وحيث ان المرء لا يستطيع ان يستغني عن الأصدقاء نهائياً، لذا ذهبا الى الناشر ليريا ماذا في وسعه ان يعمل لهما. وقال جاليمار : ان العمل ليس مؤكداً. فهو لا يستطيع ان يقرّ بحساب معلق. وعندئذ ارسل اراغون برقية الى صديقه وناشر اعماله في امريكا صامويل سلون، الذي أجاب عليه، على التو مع ارسال حصة من الأرباح يمكن ان يستعينا بهاحتى يحصلا على غيرها.

وفي كاركاسون كان يتردد اراغون والزا على الشاعر جوبوسكيه الذي اصيب بشلل كنتيجة لجروحه بالحرب الأخيرة.

وكان يتردد على بوسكيه في غرفته المعتمة الموصدة، عشرات

من الكتاب والفنانين والشعراء والمثقفين، مختلفي النزعات، فيتكلمون في نبرات حذرة عما قد حدث فعلاً وما يحتمل حدوثه من الامور. وهناك اتى جان بولهان وزوجه جوليان بندا، وجان شلومبرهر وبوريس وايلد احد أول العلماء الذين سقطوا امام طلقات عصابات النازي بعد اعتقالات MUSE'E DE L'Homme في السنة اللاحقة. وكنت تجد هناك حتى الرجال ذوي النزعات المريبة الخطرة مثل جان ميستلر احد دعاة بيتان في آخر ايام الجمهورية، ذلك لأن باب بوسكيه لم يكن يُغلق في وجه أحد.

وبقي اراغون والزا في كاركاسون منذ نهاية شهر اغسطس حتى نهاية شهر ديسمبر، مستأجرين حجرتين ببيت امرأة عجوز كانت تملك قبل ذلك «مستودع بقالة» كما كانت داعية متحمسة للمارشال بيتان. وهناك استمر اراغون في كتابة قصائد Le Creve - CoeuR وفي انتظار النقود، عرضت عليهما صاحبة المنزل وقد أثر فيها سوء حالهما بدون ان تعرف ميولهما السياسية، ان تشتري حانوتاً آخر يقومان بالاشراف عليه، وقد ضمن لهم هذا العمل القوت في ايام الشدائد الملوحة، فضلاً عن انه كان في الوسع ان يتناولا طعامهما كلما دعت الحاجة، الا انهما قاوما الاغراء. وقد طاردهم البوليس ولم ينقذ اراغون من الحبس غير ما كان يحمله من الأوسمة.

واستمر في الكتابة وكان يعرض القصائد على اصدقائه، وكان يقرأها احياناً في منزل بوسكيه. حتى اصدقاؤه كانوا يشعرون بالفزع لما في ذلك من خطورة ومجلبة للمتاعب، الا انه كان يجادلهم في ذلك. فالوطنية كانت في نظرهم وقتئذ تتطلب منهم ان يخلدوا الى الصمت. بينما كان يعتقد ان الصمت لا يعني الا الحذر ان لم يكن الجبن. فقد كان من الضروري للشعراء كما اعتقد ان يخترعوا طرقاً جديدة للتعبير عن انفسهم لا ان يظلوا خرساً.

الا انه كان منفرداً بهذا الاعتقاد والعمل به. وقد تحرج موقفه في كاركاسون عندما صدرت (الفيجارو) في ليون بعد الهدنة وفيها احدى قصائده القوية التي كتبت في هذه الحقبة «الزنابق والورود» دون ان تحصل على اذن من الشاعر بنشرها وقد حذره اصدقاء عديدون بألا يسمح بنشر هذه الافكار الصريحة. فالرجال الذين انضموا الى اراغون فيما بعد كانوا لا يزالون يثقون في «المارشال» في ذلك الحين.

وأول زيارة مجدية حظي بها الشاعر في ذلك الحين كانت زيارة «سجهرز» وزوجه، اللذين أتيا من فيلنوف – ليه – افينون لرؤيته. وقد بعث سجهرز بعد التسريح، مجلته التي كانت تصدر زمن الحرب Poetes Casque's باسم Poesie 40. وكان اول لقاء لهما.

وقد التمس سجهرز من اراغون مساعدته في الاحتفاظ بمجلته الفتية حية واستعمالها كأداة لمجوعة من الكتاب الأحرار.

وقُبيل ان يستلم اراغون خطاباً من صديق بمراكش به تفاصيل عن موت الشاعر الفرنسي العجوز «سان — بول — رو» : دهم الجنود النازيون المندفعون بجنون بعد غزوهم السريع لفرنسا، عقر دارة «كوسليان» وهاجموا ابنته «ديفين». وقد اغتصبوا الفتاة الصغيرة، كما اغتصبوا خادمة العائلة التي هرولت لمساعدتها، وعندما حاول الشاعر المسن ان يتدخل، ضربوه هو والخادمة برؤوس بنادقهم. وقد مات كل من الشاعر والخادمة المخلصة في بحر عدة ايام قلائل، وكانت ميتة العجوز بسبب قلبه المحطم اكثر من جراحه.

وعندما رأى سجهرز كيف تأثر اراغون تأثراً عميقاً بسبب هذه الحادثة، على عكس الموقف «السليم» الذي كان يشيعه في ذلك الحين كل من الألمان ودعاية فيشي في فرنسا، سأله ان يكتب مقالاً عن «رو» لمجلة Poesie. ووصف سجهرز كيف جلس اراغون وبعد ساعة واحدة اتم كتابة دفاع رائع عن الروح الفرنسية في لحظة الهزيمة ونشر Saint - Pol - Roux, ou L'espoir تحت اسم اراغون بعد ان بترته رقابة فيشي، وذلك في احد اول اعداد Poesie.

اتم اراغون قصائد Le Crev'e - Coeur في سبتمبر ١٩٤٠

بكار كاسون وفي آخر هذا الشتاء استطاع ان يسلم الأصل ويناقش مسألة النشر مع جان بولهن الذي جاء لزيارته في نيس. وعاد بولهان الى باريس ومعه المخطوط وأقنع جاليمار، ناشر اراغون بطباعته في ربيع ١٩٤١. والذي نحّى التردد عن جاليمار انه رأى ان الألمان لم يمسوا «الفيجارو» بأي ضرر لنشرها «الزنابق والورود».

وقرب نهاية شهر ديسمبر ١٩٤٠ استطاع الشاعر وزوجه ان يتركا مسكنهما بكاركاسون، وقبلا دعوة من سجهرز وزوجه لزيارتهما في مسكنهما بقرية ليزانجل بالقرب من فيلنوف – ليزافينيون، وذلك في عيد الميلاد وقد أثّر عليهما سجهرز حتى يسكنا معه، غير ان الشتاء كان قاسياً، ومن الصعب تدفئة المنزل، الأمر الذي جعل اراغون يقرر النزوح الى «نيس».

وطلب سجهرز من اراغون للمرة الثانية ان يقوم بتحرير Poesie فرفض خشية ان تودي معتقداته السياسية المعروفة بالفائدة المرجوة من المجلة. وقرر الشاعران، في الوقت الذي كان يصعب فيه على اي امريء ان يجهر بآرائه ان يوجدا اولئك الكتاب الذين لم يخونوا وطنهم. ولم يكن يفكر اي كاتب في ذلك الوقت، حتى محررو Poesie في مهاجمة الألمان، وقلة هم الذين كانوا يعرفون اية خطة مرسومة ممكنة. وقد وضع اراغون وسجهرز خطة عن طريق المكاتيب والنفوذ الشخصي وعن طريق المجلة نفسها، لاثارة

وعي الأدباء الشباب ولتقرير الطريقة التي يمكن التعبير بها عن انفسهم بالرغم من رقابة فيشي. وكجزء من هذا البروجرام كتب اراغون مقالة La Lecon de Riberac ملخصاً انفعالاته الخاصة عندما سمع أولاً بالهدنة.

وهكذا كانت مجلة Poesie اول مجلة ادبية مشروعة لكتّاب حركة المقاومة أما اولئك الذين يعتقدون الى الآن ان جميع الأدب المصرح به والذي قد انتج تحت حكم فيشي كان ادباً عنيناً أخرق، فليس هنالك ما اشير به عليهم الا الاطلاع على الاعداد التسع عشر من Poesie التي صدرت خلال الاحتلال.

وقد استهلت الأعداد الاولى بعد الهزيمة بمقاطع Le Crev'e - Coeur المثيرة. واشتملت على مقالات واشعار بقلم لوي ماسون وبيير عمانويل ولويس باروت وآخرين. وكان نتيجة للضغط المستمر على الرقابة الجديدة ان حصلوا على رخصة للجريدة الجديدة، ولم يتفحصها بامعان كل من الرقيب الألماني والفيشي أو ربما كانا من الغباء بحيث لم يستطيعا ان يتفهما جميع وخزاتها الحادة.

وبعد عدة ايام مع سجهرز نزح اراغون وزوجه الى نيس حيث وصلا في مساء ٣١ ديسمبر ١٩٤٠ وقد بقيا في الرفييرا فيما عدا الفترة التي تقع بين اول يناير ١٩٤١ و ١١ نوفمبر ١٩٤٢.

وبعد ان قرر ان واجبه خلال الاحتلال كان ينصب على

مساعدة الكتاب ليقوموا بدورهم في حركة المقاومة، لم يضيّع اراغون وقتاً في التهيؤ للعمل. وقد أمده بأحد منافذه، ماكس بول فوشيه الذي قد ذهب الى شمال افريقيا قبل الهدنة، فأسس احدى المجلات الأدبية الرائعة لفرنسا غير المحتلة Fontaine وفي الشهور التالية لذلك تسلم فوشيه عدداً من قصائد :

Le Crev'e - Coeur ومقالة: La Lecon de Riberac وقصة قصيرة بقلم الزا. وكخطوة مهمة في سبيل التقدم في هذا الحين اسست مجلة ودار نشر Cahiers du Rhone بجنيف، التي قامت بنشر اكثر من مجموعة كاملة من ادب المقاومة الفرنسية خلال الحرب اكثر من غيرها من دور النشر الاخرى. وفي ربيع ١٩٤١ كتب اراغون الى الناقد الأدبي السويسري المعروف البير بيجوين المقيم بجنيف يسأله اذا ما كان في الوسع مساعدة الكتاب الفرنسيين للتهرب من الرقابة. فقد عرف كل منهما الاخر منذ ١٩٢٠ عندما كان بيجوين في هذا الحين لا يزال طالباً، جاء الى باريس ليقابل اراغون الدادي.

واجاب بيجوين غير متباطىء مقدماً مساعدته في شيء من الرضا. وبعد ذلك بقليل ارسل صديقه برنارد ارثنيوز الى نيس ليرى اراغون. وبعد مناقشات طويلة اوضح فيها اراغون ان كثيراً من الكتاب الفرنسيين قد يخرجون عن صمتهم اذا ماتأكدوا من وجود

عملية نشر حرة، وعلى هذا النحو تأسست دار Cahiers de Rhone في جنيف.

والى جانب هذا العمل استأنف اراغون والزا كتاباتهما في نيس. وكانا يقيمان في سكن متواضع يقع في شارع هادىء. وهنا انجز اراغون مجموعة القصائد التي ارسلت الى سويسرا وصدرت هناك تحت التسمية «عيون الزا» في اواخر عام ١٩٤١. واتمت الزا عملها في رواياتها القصيرة التي نشرت مؤخراً بعنوان Mille Regrets.

* * *

وفي شهر يونيه ١٩٤١ قررا انه من الضروري لهما ان يذهبا الى باريس لتوطيد علاقاتهما مع الكتاب في الشمال. ولو انه كان في استطاعة من يقيمون في باريس العودة الى بيوتهم الا ان اراغون وزوجه شعرا بخطر موقفهما اذا ماسئلا ابراز اوراق هويتهما، وبذلك بيّتا الأمر على عبور خط الحدود خلسة. وقد ارسل الحزب الشيوعي الفرنسي جورج دوداش ليرشدهما، وهو الشخص الذي ساعد على وصول عدد من المجلات السرية الى باريس في الشهور اللاحقة للهزيمة، كما اعدمه الألمان بعد ذلك.

وفيما كانا يعبران خط الحدود سيراً على الأقدام في جنوب تور،

قبضت عليهما دورية المانية وألقي بهما مع مئات من الآخرين الذين قبض عليهم في نفس الورطة. وكانا يحملان اوراق الذاتية الخاصة بهما الا ان شهرة لويس اراغون لم تكن قد وصلت الألمان بعد. وقال اراغون «انه درس بليغ في التواضع». واطلق سراحهما في ١٦ يوليو ومن ثم تابعا طريقهما الى باريس.

وفي باريس رأى الشاعر عدداً من اصدقائه ومن بينهم جورج بوليتزر وجاك ديكور وجان بولهان وجورج دوهاميل ودانييل كازانوفاوآخرين.

وكانت المجلة الجدية الوحيدة للمقاومة في باريس حتى ذلك الحين هي المجلة الفلسفية La Pense'e Libre، التي اسسها كل من بوليتزر وجاك ديكور. وقد ظهر منها عدد واحد فقط منذ وقت بعيد الا انه كان لها تأثير قوي في اثارة كثير من المثقفين في باريس ليقوموا بدور ايجابي في اعمال المقاومة والشروع في اصدار مجلة سرية. والى جانب من ذكروا من الكتاب حضر هذا الاجتماع ايضاً فرانسوا مورياك والقس الدومنيكى ريفيراند بيير مديو وجان بلانزا وجان كوهينو. وعين جاك ديكور سكرتيراً للجماعة.

كان شهر يوليو ١٩٤١ من الأوقات العصيبة بباريس. وبعد ان انجز اراغون اغراضه نُصح هو وزوجه بالعودة الى الجنوب. فذهبا

نحو الجنوب الغربي لفرنسا وزارا – اول الأمر – رينو دى جوفنيل في كاستل نوفيل حيث التحق بهما مرسيناك. وبينما كان اراغون يعبر كاهور ليرى امه، قابل صدفة صديقه الفنان الشاب بوريس تاسلسيتزكي الذي كان يعمل في مركز طنافس الاوبيسون مع جماعة من الفنانين الفرنسيين الرواد، ومن بينهم جان لوركا وجروميرودوفي.

وكان بعث عملية نسج سجاجيد الأوبيسون الفرنسي في اكثر عهود الهزيمة حلكة مشابهاً لبعث الشعر تحت تأثير سيجهرز واراغون فقد اقترح اراغون تبني النهج الفرنسي القديم في استعمال الشعر كأسطورة تنسج على هامش السجاجيد، كما كان الحال في القرن الخامس عشر. وقد رحب بالفكرة في حماس، وفي أوج الاحتلال بيعت في فرنسا معظم السجاجيد العصرية الجميلة مزينة باشعار ايلوار واراغون وابولينير وآخرين. وشرع الفنانون انفسهم في كتابة اشعارهم التي طبعت بعد ذلك في مجلة محلية باسم Les Etoiles quercy.

وذهب أراغون من كاهور لزيارة سيجهرز في ليزانجل. وفي الطريق، توقف في تولوز لرؤية جورج سادول واتصل عن طريقه بجان كاسو، الذي القي القبض عليه عقب ذلك بقليل. وفي

وقد اصاب سيجهرز تقدماً ملموساً بواسطة الشعر، الا ان اعوان الألمان كانوا لا يزالون ينبثون بين المثقفين في الجنوب واصبح ديريو لا روشيل محرراً بمجلة Nouvelle Revue Francaise واخذ يقوم بمحاولات شاقة ليغرى المثقفين الفرنسيين بقبول «الوضع الجديد»، وقد أرسل صديقه رينيه فنست الى فيشي، ليبدأ في اصدار مجلة تعاونية تحت تسمية : Id'ees . وفي عام ١٩٤٢ كشف فنست عن ميوله الحقيقية بقبول وظيفة رئيس الرقابة في ظل حكم بيتان. وفي تولوز ظهرت مجلة ادبية اخرى بواسطة جماعة من الكتاب انصار بيتان يساعدها عدد من عملاء الجستابو باسم Pyr'en'ees وبالرغم من ان هؤلاء لم يحصلوا على اي اعتبار فقد كانوا يثيرون لبساً في بعض الدوائر وكان الخطر يلوح دائماً خشية ان يزداد نفوذهم بمرور الوقت.

ولتتعادل كفة التوازن، بقي على الجانب المقابل كل من Fontaine,Po'esie في شمال افريقيا. وكان هنالك ايضاً عدد من المجلات غير الضارة. وظهرت Les Cachiers de Sud في مرسيليا وكانت تُحرر في حرص وفي شرف ايضاً. وفي ليون اندس أفّاق ذكي بين جماعة من المثقفين من ابناء اصحاب الصناعات المحلية الأثرياء، بصفته ممثلاً لكاونال جيرلييه، بطريرك ليون، وفي ربيع ١٩٤١ اقنعهم بالتبرع لاصدار مجلة عادية محايدة Confluences.

ذكي بين جماعة من المثقفين من ابناء اصحاب الصناعات المحلية الأثرياء، بصفته ممثلاً لكاونال جيرلييه، بطريرك ليون، وفي ربيع ١٩٤١ اقنعهم بالتبرع لاصدار مجلة عادية محايدة Confluences. وكان على اية حال هناك شابان يمكن الاعتماد عليهما في هيئة تحرير هذه المجلة لما يتمتعان به من موهبة واحدهما هو : رينيه تافرنيه، ابن احد كبار صناع الحرير، والآخر هو : مارك باربيزا.

وبعد ذلك بقليل اخرج باربيزا مجلة خاصة به باسم L'Arbal'ete وكانت تتضمن كثيراً من اعمال كتاب انكليزوروس وامريكان لم يسبق ان تُرجم لهم. وكانت تطُبع باليد بواسطة باربيزا نفسه على ورق فاخر في نسخ معدودة لا تتعدى الاربعمائة نسخة وتصدر مرتين في السنة. وقد احرزت المجلة المذكورة مستوى عالياً في ذلك الوقت. وكان في ليون الملحق الأدبي للفيجارو، الذي كان يحرره الكاتب والناقد الكاثوليكي اندريه روسو ومجلة اسبوعية للقصة القصيرة Sept Jours التي كان يحررها لويس مارتان شوفيير وتتكون هيئة تحريرها من جماعة نشيطة من الكتاب الشبان، هذا الى جانب عدد من الجرائد التي كان يعمل فيها عدد كبير من الادباءالباريسيين.

وقرر اراغون زيارة منطقة ليون لكسب تعاونهم. وفي ليون قابل اندريه فيوليس احدى الصحفيات الفرنسيات الأوائل، وآديث توماس التي قد بدأت في ابراز موهبتها العظيمة كاتبة للقصة القصيرة، واندريه روسو ومارك باربيزا وستيفان برياسيل وكلود افلين ولويس مارتان شوفيير وصديقين قديمين كانا يعملان في هذا الحين في المقاومة، وهما جورج التمان وباسكال بيا، اللذان اقنعهما للاسهام في عمل جميعة الكتاب.

وفي العودة الى فيلنوف – لي – افينيون، استبقى اراغون هو وزوجه في منزل حماة سجهرز وصادفت زيارتهما موعداً مناسباً. فقد اتفقت وافتتاح اتحاد من المثقفين الشباب باسم «فرنسا الفتاة» في شاتودي لورمارا بالقرب من افينيون. وبالرغم من ان هذا الاتحاد كان تحت اشراف فيشي الا انه يضم عدداً كبيراً من الشبان الوطنيين. وكان من بين قادته كلودروا الذي ازداد نشاطه فيما بعد في حركة المقاومة. وقد دعي الى هذا الاتحاد الفنانون والموسيقيون والممثلون والكتاب كما وصلت دعوة الى اراغون نفسه، فقرر ان لا يذهب غير انه شجَع كثيراً من لدن اصدقائه على الحضور لاستخدام هذا الستار في سبيل انشاء منظمة من الفنانين والكتاب الوطنيين. وكان من بين هؤلاء ماكس بول فوشيه الذي قد قطع الرحلة من الجزائر لهذا الغرض وليسهم مع اصدقائه في التشاور فيما يخص Poesie.

وفي الواقع قد عاصر اتحاد فرنسا الفتاة، سلسلة من الاجتماعات المنعقدة في افينيون وفيلينوف حيث تكلم الكتاب والمثقفون بصراحة فيما بينهم وبدأوا في تكوين افكار واضحة للمستقبل.

وعقب عودته مباشرة من باريس في يوليو كتب اراغون اول مانيفستو لكتاب المقاومة وقام بتوزيعه في هذه الاجتماعات على نطاق واسع. واخذ فوشيه نسخة منه وعاد بها الى شمال افريقيا. وقد قرر ان يذهب لوي ماسون ليبقى مع سجهرز ويعاونه كمحرر مساعد، مع بذل اقصى الجهود للانتصار على المجلات الاخرى التي كانت تصدر في ذلك الحين. ومن اهم الذين زاروا فيلنوف، كان فنست بيجوين الذي حضر مع زوجه ريموند فنست وهي كاتبة ايضاً، لأخذ بعض المسودات للقيام بنشرها في سويسرا ولتوطيد علاقته القديمة. وقد اتفق على ان يكون الاتصال بواسطة قنصل سويسرا الجديد بليون، فرانسوا لاشينال. وقد وضع لاشينال نفسه تحت تصرف كتاب المقاومة وكانت مساعدته لا تقدر. واخذت الكتب والمجلات التي اصدرتها Cahiers du Rhone وغيرها من دور النشر الاخرى في سويسرا، اخذت تفد الى فرنسا بكميات هائلة عن طريق تغاضي الرقيب الفرنسي في انيماس الواقعة على الحدود الفرنسية فقد كان عضواً فعالاً في حركة المقاومة كما لحق فيما بعد بجماعة الماكي في منطقة سافوي العليا عندما حامت حوله الشبهة. وكان من مظاهر هذه الحقبة ان تكون اوسع المجلات الفرنسية

انتشاراً وقتئذ هي مجلة اسبوعية سويسرية اسمها : Curieux.
وكانت هذه المجلة تتألف من خليط من الآراء ولكن كان من المحتمل
ان يبث بين صفحاتها قدر كبير من الأدب الوطني.

* * *

وفي اكتوبر ١٩٤١ عاد اراغون وزوجته الى نيس وفي فيلينوف
وعند عودتهما الى نيس اتمت إلزا قصص Mille Regrets. وقد نالت
بعد ان قام دينويل بنشرها في باريس في مايو ١٩٤٢ نجاحاً سريعاً.
وكان خريف وشتاء ١٩٤١ حقبة خطيرة بالنسبة الى الكتاب
القرنسيين بصفة عامة، وبالنسبة الى اراغون والزا بصفة خاصة.
وكان اول شيء ان القت بهما صاحبة المسكن الى الشارع. ولم
يعرفا السبب الحقيقي الا بعد وقت بعيد حين علما ان البوليس جاء
في غيبتهما وأصر على ان تعترف وتقر بكل نشاطهما،الأ ان المرأة
الطيبة لم تقدر على البوح كما لم تجرأ على مقاومة البوليس، لذا
اقدمت على هذا التصرف كخير مخرج. ووجد اراغون شقة
صغيرة على Quai des Etats - Unis (رصيف الولايات المتحدة)
وبالرغم من البرد القارس وشحة الطعام واصل اراغون والزا
عملهما بدون اي اضطراب. وبظهور Le Gr'eve - Coeur في باريس
بعد عودته الى الجنوب بقليل ارتفعت صيحة خبيثة من لدن الكتاب
التعاونيين وفي عدد Nouvelle Revue Francaise الصادرفي شهر

اكتوبر اتهم دريولا روشيل، اراغون كقائد منظم لكتاب المقاومة بفرنسا، وبتأليف مقالات هجومية ضد الألمان وفيشي وبتحرير شبكة المطابع السرية. وكان جميع ذلك تملقاً وليس صحيحاً كل الصحة. فقد كان هنالك آخرون في المؤامرة.

وقد اتفق هذا الهجوم مع اول حركة تنفيذ الأعدام الجماعي في أفراد المقاومة وأسرى المنطقة الشمالية. وفي هذا الوقت ايضاً اكتشف الألمان احدى جماعات المقاومة من موظفي Mus'ee de L'Homme بباريس. وعندما اعدم الألمان أحد هؤلاء المثقفين، وهو المهندس جاك بونسير جان، كتب أراغون قصيدة يفضح فيها الاعدام تحت العنوان x...Francais التي قد ظهرت في المجلة السويسرية La Suisse Contemporaine وقد طلب الجستابو من حكومة بيتان القبض عليه وبدأت رقابة فيشي تشن حملتها عليه بالتأثير على «Po'esie» وغيرها من المجلات الفرنسية بعدم نشر اي شيء من كتاباته.

لقد حان الوقت ليكون حريصاً اكثر من قبل. فمن الآن وصاعداً لم ينشر من اعمال اراغون باسمه في فرنسا الا القليل. وقد تعددت اسماؤه المستعارة خلال بقيةالحرب، الا ان اسلوبه كان من السهل ان يتعرف عليه اصدقاؤه، تحت عشرات الاسماء مثل فرنسوا لاكولير وجورج ميزارجس وآرنودي سان رومان أوحتى في بعض التحذيرات والاحتجاجات غير الممهورة بتوقيع.

وحتى هذا الحين، لن تمس حركات القبض التنظيم الجنيني لجمعية الكتاب، واستمر المراسلون في الوصول الى نيس بانتظام ومعهم مقالات ورسائل من باريس. وكان الكابتان رينيه لابورت وكلود اندريه بوجيه يترددان على شقة اراغون حيث كانت الزا مستغرقة في كتابة اول رواية طويلة لها Le Cheval BLANC وكان اراغون منهمكاً في اتمام روايته Aur'elien التي استهلها في كاركاسون.

وقد بدأ كلاهما في الشعور بالضجر من اولئك التافهين الذين نزحوا الى الرفييرا خلال الاحتلال وهم الفرنسيون الاغنياء الذين آثروا الاسترواح خارج العاصفة في ظروف مريحة، واللاجئون الأغنياء من بلدان اخرى الذين تزعجهم متاعبهم الشخصية اكثر من مصير هؤلاء المحيطين بهم، الجواسيس والتعاونيون والملكيون اعوان النازية. وفي احدى مقالات الزا المنشورة في Poesie تصف بعض هذه الشخصيات الغريبة، الأشباح التي قابلاها في هذه الدوّامة من الخيبة والاضطراب.

وفي هذه الآونة اشتدت وطأة الضغط الالماني في باريس والشمال وفي اواخر شهر ديسمبر ١٩٤١ حملت الجرائد الانباء السافرة الخاصة بموت وترحيل كثير من اصدقائهما وقد شاهدا

معظمهم في رحلتهما الأخيرة الى باريس. وأول من سقط امام منفذي الاعدام كان جابرييل بيري، المعلق على الشؤون الخارجية بالجريدة الشيوعية Humanite، الذي كان من أصدقاء وزملاء اراغون المقربين، كما كان يتمتع بمهارة وتجارب صحفية نادرة، وفي الوقت نفسه تقريباً سلم الفرنسيون الالمان (٢٧) سجيناً سياسياً من المتهمين بالشيوعية كأسرى. وبعد قتل كولونيل الماني بيوم بواسطة مجهولين أخذ جميع السجناء السبعة والعشرين من معسكر الاعتقال في شاتوبريان ثم اعدموا اخذاً بالثأر.

وقد قدمت حادثة شاتوبريان سابقة فظيعة، فقد كانت أول حادثة علنية لاعدام اسرى ابرياء كمثل لأعمال الآخرين. ومن الواضح ان كلا من حكومة فيشي والألمان ارادا ان يبررا عملهما برمي الضحايا بتهمة الشيوعية، ولكنه ان لم تكن قدمت الاحتجاجات فربما اصبحت عملية الاعدام الجماعي امراً مشاعاً وفي اوائل ١٩٤٢ أحضر رسول خاص الى اراغون، رسائل ومستندات تشتمل على تفاصيل ودقائق، اعدامات شاتوبريان.

وكتب اراغون في الحال اروع ما كتبه من احتجاجات المقاومة، وأحدها الذي نفخر به اليوم والذي، ربما، كان له الأثر الفعال في تغيير موقف الفرنسيين تجاه الألمان. وكان عنوان المقال المذكور

Les Martyrs ووقع عليه ببساطة «عن الشهداء، شاهدهم» وقد هرب المقال الى الخارج وأذيع من جميع محطات اذاعات الحلفاء موجهاً الى فرنسا.

وبعد وقت قصير وجه الجستابو ضربته الى منظمة الكتاب. وظهر عدد ثان من La Libre Pens'ee في اواخر صيف ١٩٤١. وفي اوائل ١٩٤٢ أخرج جاك ديكور Les Lettres Francaise لسان حال جميعة الكتاب القومية. في نفس الوقت تقريباً الذي قبض فيه الجستابو على هيئة Mus'ee de L'Homme وبعد البحث الدقيق اكتشفوا ان ديكور وجورج بوليتزر كانا يحرران La Libre Pens'ee ، وقد اعتُقد انهما لا بد كانا يشتركان في نشرة جمعية الكتاب الجديدة. وربما من اجل الرغبة في جعل هذين الرجلين يتكلمان قبض البوليس السري لحكومة فيشي (الذي كان لديه في هذا الحين قسم بباريس يعاون الالمان) على ديكور وبوليتزر وجاك سولومون.

وفي شهر مايو سلمهم البوليس الفرنسي الى الألمان وقد اعدم ثلاثتهم. لم يذكر اي من هؤلاء الرجال اية تفاصيل تتعلق بمنظمة الكتاب، أو طرق كتابتهم، ولكن كانت هناك ضرورة لفترة من التوقف واعادة التنظيم. واذا استمرت حركات القبض والاعدام،

فربما يخرس قادة فرنسا المثقفون، فتحرم حركة المقاومة النامية من قيادتها.

* * *

وفي ربيع ١٩٤٢ هرب المشعوذ الذي ساعد في اخراج Confluences ومعه ارباح المجلة، مخلفاً الكمبيالات ليسددها أي شخص يرغب في الاستمرار بالعمل.وكانت للمجلة سمعة متواضعة، ومن الوجهة الأدبية كانت تعتبر محاولة ضعيفة. واتى رينيه تافرنيير الى نيس ليسأل اراغون اذا كان في الوسع ان يتعهد المجلة ويبقى عليها. ونصحه اراغون بالقيام بذلك، واعداً اياه بمساعدته رغبة في تحويل Confluences الى مجلة ادبية جديرة بمضاهاة Nouvelle Revue Francaise التي كان يحررها دريولا روشيل. وفي وقت وجيز غيّر كلاً من اسلوب ونغمة المجلة واعتلت Confluences مكانة القيادة في الكتابات الفرنسية وقد احتفظت بهذه الحالة حتى فيما بعد التحرير. وفي ربيع ١٩٤٢ بدأ اراغون بوضع كتابين طبعا في سويسرافي ١٩٤٣ وهما Broc'eliande, En Francais dans le texte والى جانب رؤية الكتاب كان على اتصال بالفنان هنري ماتيس، الذي كتب له مقالة لتطبع مع مجموعة من لوحاته، صدرت في باريس تحت العنوان Themes et Variations وقد رسم ماتيس سلسلة صور تمثل اراغون في ذلك الحين.

وكان بيت اراغون في نيس مفتوحاً لكثير من الاصدقاء القدماء والجدد. وكان يتردد عليه كل من سيجهرز وبيا وتافرنيير. وغالباً ما كان يزوره بولهان، وزاره اخيراً روجر مارتان دي جار يدفعه اعجاب بموهبة الزا تريوليه. ووصل تريستان تزارا، صديق سنوات عديدة، من ساناري وقد حمل على الشروع في الكتابة ثانية. وفي شهر مارس، توفيت أُم اراغون في كاهور. وبعد حضور جنازتها قام بزيارة الفنانين والكتاب في هذه المنطقة، بما فيهم لوركا واندريه وورمسر وجورج سادول.

وقد تغيرت كل من الروح المعنوية وانتاج الكتاب المقيمين في الجنوب تغيراً كلياً منذ ١٩٤٠. وفي هذه الاثناء كانت فيشي تتصرف كأجيرة للالمان الذين التجأوا الى المقاييس المجحفة لكبح جماح الفرنسيين. وكان في وسعك ان تتكلم بصراحة بين الاصدقاء دون الخوف من الوشاية وان تسأل اي كاتب ليكتب كراسة سرية ويوزع المنشورات السرية بين الناس في اي مكان تقريباً. وكان الجمهور مستغرقاً في التفكير في وسيلة لطرد الألمان. وقد عززت هذا الاتجاه اعدامات شهر مايو، بالرغم من انهم قد قطعوا الاتصال بباريس لفترة وجيزة وقّرضوا عمل كتاب الشمال السافر. وفي يوليو ١٩٤٢ عاد اراغون والزا الى فيلينوف واستأجرا منزلاً بالقرب من سيجهرز. وكانت فيلينوف في هذا الصيف مركزاً لفعالية عظمى للمرة الثانية. وتقابل هنالك محررون لثلاث من مجلات المقاومة

(Po'esie, Fontaine, Confluence (عاد جان روا مدير Fontaine من الجزائر مباشرة بعد اطلاق سراحه من السجن، حيث التحقت به زوجه واطفاله) وذلك لتنظيم نشاطهم ولاقتسام المخطوطات التي وصلتهم وكان المسافرون من باريس يصلون بصورة متتابعة.

وهنا علموا ان الجمعية القومية للكتاب قد اعيد تأليفها، بعد موت ديكور ببضعة اشهر. وقد ترك كلودمورجان مهمة تحرير Le Lettres Francaises. وفي الوقت نفسه التحق عدد من الكتاب المجيدين بجمعية الكتاب القومية بباريس، ومن بينهم بول ايلوار وجان ليسكور وجان بول سارتر والمصمم الشاب المتواضع جان برولر الذي قد أعد (منشورات منتصف الليل) السرية والذي لم يعرفه احد حتى التحرير كالكاتب الذي كان يوقع تحت امضاء فيركوزر الذي قد قرأوا جميعهم كتاباته. وفي اوائل خريف ١٩٤٢ صدرت طبعة Les LETTRES.

وفي هذا الصيف زار اراغون والزا، ديوليفيت في منطقة دروم مع سيجهرز وقد اتصلا هناك بكثير من الكتاب. في هذه الرحلة استعد اراغون وزوجه للعهد السري الذي قد شعرا بدنوه. وعثرا على شاليه مهجور في كومب، في الجبال المشرفة على ديوليفيت، حيث انزلا معهما، لاجئين المانيين قد حكم عليهما الجستابو بالاعدام وقد اتفقا على الأختفاء في هذا المكان اذا ما حدث اي شيء.

وبعد الجو الخانق في نيس المبثوثة بالجاسوسية، تمتع اراغون وزوجه بهواء الجبال النقي واسترخيا في الجو الطلق لهذه الجزيرة المستقلة عن الفكر الفرنسي. وقد ادرك اراغون في الاشهر الماضية ضرورة العيش بالقرب من الاشخاص الذين يفكرون تفكيره ويعملون لتحرير الوطن. ففي ديوليفيت، يحميهم حائط من الزمالة كما يحترم تنكرهم اناس فطناء لا يتكلمون.

وقد وجد مئات من المثقفين والكتاب والفنانين والمعلمين والشعراء والكاثوليك والبروتستانت واليهود، ملجأ لهم في ديوليفيت. وقد تكالبوا دون تعمد في المنطقة الجبلية حيث نزح البروتستانت في القرن السابع عشر بعد نقض فرمان نانت.

وكانت ديوليفيت تقع موقعاً حسناً، وقد أمنت وسط تلالها السامقة من زيارات البوليس الدائمة.

وكان منتصف الطريق بينها وبين قرية بوردو التالية لها غابة السنديان، حيث كان ينعقد بانتظام مجلس كبار البروتستانت لعدة قرون قبل الاشراف على شؤون جماعات البروتستانت الاحرار في فرنسا حتى استعادت السلام الاجتماعي والديني. والآن للمرة الثانية التجأ قائد البروتستانت الفرنسيين باستور بونييه الى ديوليفيت، حيث تقابل مع قادة البروتستانت الآخرين لاصدار احتجاجات ضد التعدي على حقوق الانسان من لدن الالمان وسلطات فيشي. وكان

الطريق للاتصال بالكتاب في اي مكان آخر لا يتعدى ٦٠ كليومتراً من خلال طرق الجبل الداخلية و ١٠٠ كيلومتر من ليون. وكان من السهل الوصول الى ٢٠ مطبعة حيث كانت تطبع الأعمال السرية.

وذهب اراغون من ديوليفيت الى ليون حيث عقد اجتماعات مع روسو وستانيسلاس فوميه وتافيرنيه وكثير غيرهم.وعند عودته الى فيلينوف انجز آخر مجموعة له من القصائد «المشروعة» : En Francais dans le texte وفي طريقه الى بيته توقف في سان ريمي دي بروفانس لزيارة الشاعرالضرير مورون وزوجه ماري مورون وعاد الى نيس في اكتوبر.

وعندما وصل خبر نزول الحلفاء بشمال افريقيا، كان اراغون على أهبة الاستعداد، فحزم هو وزوجه امتعتهما القليلة وتأهبا لانهاء فترة «حياتهما المشروعة» تحت حكم فيشي. وكان الكفاح الحقيقي على وشك الابتداء.

* * *

وزحفت فلول المحور الى فرنسا غير المحتلة في ١٦ نوفمبر ١٩٤٢. وعندما دخلت الجيوش الايطالية نيس من فينتسيميجليا، اختفى اراغون ومعه زوجه. واحتشد الجستابو وعملاء (اوفرا) خلال المنطقة يبحثون عن بقايا جيش فيشي المهادن الذي قد اختفى جزء كبير منه مع اسلحتهم في الجبال متاخمين وادي الرون وتلال

الألب السفلية. وكان لديهم قوائم طويلة حشدت مقدماً بأسماء الأشخاص المهمين الذين كانوا يعتقدون انهم كانوا يقومون بأعمال ضدهم في حماية حكم فيشي. وقد بلّغت الحركة السرية اراغون وزوجه انهما مدونان في هذه القائمة، وقدمت لهما كل المساعدات في سبيل هروبهما.

وبعد البقاء لمدة قصيرة مع أصدقاء في فيلينوف بافينيون، نزح الى شاليه بالقرب من كومب، على بعد ست كيلومترات من ديوليفيت. وبعد اسبوعين، لحقت به الزا كما لحق به صديقاه الالمانيان اللاجئان. وبقوا في مختبأ كومب حتى نهاية السنة. وهنا اعد اراغون مجموعة من دراسات جاك ديكور الانسانية للفلسفة والآداب الألمانية التي نشرت فيما بعد بصورة سرية ضمن مطبوعات منتصف الليل بباريس، باعتبارها لفتة تفيد بأن الفرنسيين يقدرون الثقافة الألمانية الحقيقية اكثر من النازي.

وخلال اقامتهما القصيرة في الجبال، استطاع اراغون وزوجه ان يتبينا مدى دقة الاستعدادات لتحرير فرنسا وفيما يتعلق بهما، فقد كونت الوحدات السرية وكانت قريتهما مركز قيادة احدى الجماعات الفعالة الاولى وفي كل يوم كان الشبان الذين يهددون بأخذهم للقيام بأعمال السخرة في المانيا، يتسللون الى مختبأ جبلهم للحاق بالحركة السرية.

وابلغت حركة المقاومة اراغون ليتابع عمله السابق بين الكتاب في الجنوب، لتوسيع الطباعة السرية وكتابة المنشورات والكتب لتعزيز روح المقاومة. وبعد أن شعر بالثقة من ان فرنسا تستعيد قوتها القديمة، عاد لويس والزا الى ليون في اول يناير ١٩٤٣ بدون اوراق تحقيق الشخصية أو امتعة أو بطاقات التموين، للقيام باعمال الكتابة السرية. وقدم لهما تافيرنير ملاذاً ببيته الكائن في مونبليزير حيث عاشا ستة اشهر في مكاتب تحرير Confluences تحت سقف منها وفي أثناء الأختباء بالمجلة المذكورة نظم اراغون سلسلة اجتماعات مع الكتاب في ليون، وفي اوائل ١٩٤٣، أسسوا بصفة رسمية جمعية الكتاب القومية للمنطقة الجنوبية. وسرعان ما كان للجمعية ممثلون محليون في كل مدينة كبيرة في انحاء المنطقة الجنوبية. وقد شملت معظم الكتاب الذين كان يتصل بهم اراغون خلسة منذ ١٩٤٠.

والى جانب ما كان ينوء به من حمل ثقيل، ادرك اراغون فكرة استخدام نواة جمعية الكتاب لتكوين جمعية كبيرة لأعمال التحرير، التي تمخضت عنها جمعيات قومية اخرى. وخلال اشهر قليلة اسست جمعيات اساتذة الجامعة ومدرسي المدارس الثانوية، والاطباء، والفنانين والمحامين والقضاة والصحفيين، واصدرت نشرات كانت تحث على منع التعاون مع الألمان.

كانت جمعية الفنانين المركزية تتألف من الكاتب المسيحي

ستانيسلاس فوميه، الحائز عام ١٩١٧ على جائزة جونكور وهنري مالهيرب الحائز على الجائزة الكبرى للاكاديمية الفرنسية لعدة مرات، وجان يريفوس (الذي مات وهو يحارب الألمان في موقعة فيركور في السنة التالية) ومحرر من Confluences واوجوست انجلز، واراغون.

وبعد ان انتظم اعضاء الفنون الحرة في الحركة السرية، سرعان ما وجدوا انه من الضروري توزيع عمل هؤلاء المثقفين في كل جماعة، حتى يستطيع جميع القادة في هذه الميادين العمل معاً في النشرات المحلية، ولهذا الغرض، تكونت الجماعات المشتركة للفنون والعلوم، المسماة Etoiles، من مئات الجماعات في جنوب فرنسا. واصدرت الجمعية المركزية مجلة شهرية لجميع الحرف، تحمل الاسم نفسه Etoiles، التي قد عين اراغون محرراً لها. ووزع منها تسعة عشر عدداً حتى التحرير. وكانت هذه الجماعات المهنية تلمّ شعث المثقفين للدفاع عن زملائهم المقبوض عليهم وتصدر المطبوعات على نطاق واسع وتعمم المقاومة فتشد من أزر قوات الحركة السرية المسلحة في التلال.

وفي منتصف ١٩٤٣ قويت الجماعات في انحاء فرنسا الجنوبية كلها. وبزغوا في ١٩٤٤ ولعبوا دوراً هائلا في تجنيد الرأي الفرنسي للاسهام في الانتفاضة القومية. في شهر يونيو ويوليو واغسطس لمساعدة غزوات الحلفاء.

واول هذه الجمعيات التي يعتبرها اراغون اعظم عمل له في حركة المقاومة، كانت الجمعية الطبية القومية. وقد كتب اول منشور، داعياً لتأليفها، وجنّد بنفسه كبار الاطباء ليكونوا اعضاء وترأسها في اجتماعاتها الأولى، وحرر ايضاً منشوراً شعبياً عملياً لعمليات الاسعاف الأدبي لوحدات المقاومة وألحقه بآخر مبيناً لهم كيف يكونّون العيادات الطبية في الميدان.

وكان اراغون فخوراً بهذا المنشور الخاص بالاسعاف الاولي فخره بأي مجلد شعر او رواية من كتابته. وقد وجّه عمل هذه الجمعية نحو مساعدة قوات الغوريلا مساعدة عملية، حيث تكاثرت هجمات هذه الوحدات المتنقلة خلال خريف ١٩٤٣. ولهذا الغرض رأى ان أطباء القرية الهادئة في كل من الاماكن حيث كانت تعمل الوحدات يجب ان يكونوا على استعداد لأي طلب عاجل للعناية بالجرحى. ونظمت الجمعية مستشفيات خفية في الجبال وجهزتها بقدائيي الاطباء الشبان وفتيات تمرن على اعمال التمريض في الميدان واعدت قوائم بالاطباء المدنيين والممرضات، الذين كانوا على استعداد للنزوح الى وحدات المقاومة العسكرية السرية عندما يحين موعد الانتفاضة القومية.

وعلى هذا النحو ايضاً كان دوره مهماً في تكوين الجمعية القومية للصحفيين، التي كانت تشرف على المطبعة السريةبالمنطقة

الجنوبية. وفي لحظة التحرير كان اعضاء هذه الجمعية ينشرون اكثر من ٢٠٠ جريدة بمعدل توزيع يتجاوز ١٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة في الاسبوع.

والجماعة الأخرى التي اعتبرها اراغون جوهرية بالنسبة الى الحركة كانت الجمعية القومية للمحلفين والقضاة، فقد كانت لكثرة نقض مراسيم فيشي المتعلقة بتسجيل وترحيل الشبان للقيام باعمال السخرة في المانيا، ان ناءت المحاكم بحمل ثقيل. والآن حيث كان العدو مسيطراً على جميع النواحي، اصبح واضحاً ان تأييد مثل هذه القوانين كان بمثابة مساعدة وتحريض العدو.

وبالعمل في هدوء عن طريق مهنة مشروعة، سرعان ما كفلت الجمعية القومية للمحلفين محاكمة عدد قليل من الوطنيين. ورفض اعضاؤها صدور احكام على مختلف الفعاليات الوطنيةورأت ان الرجال والنساء الذين هددوا بالقبض قد حذروا مقدماً للألتحاق بالحركة السرية. وفي بضع اشهر في اوائل ١٩٤٣، ارغمت الجمعية الألمان واتباعهم من حكومة فيشي لتخطيهم الوسائل الفرنسية المشروعة وللأشراف على عملياتهم على منحى قطاع الطريق تماماً، مع غارات وعمليات قبض واعتقالات سرية ومحاكمات مبتسرة.

وفي ربيع ١٩٤٣ نفسه اسست ثلاث دور نشر في الجنوب بواسطة جمعية الكتاب وهي :

١ — Bibliotheque Francaise

٢ — Editions des Femmes Francaises

٣ — Editions des Franc - Tireur Partisans

وكانت دور النشر هذه تنشر مطبوعات شعبية عن ادب المقاومة في عشرات المدن المتناثرة. وأول هذه الكتب التي نشرت في هذه السلسلة كان احتجاج اراغون ضد اعدام الكتاب والفنيين على ايدي الألمان، وهو Le Crime ContertE L'Esprit واعيد طبعه فيما بعد بواسطة منشورات منتصف الليل بباريس. وكانت جميعة الكتاب القومية في ليون على اتصال دائم مع جمعية الكتاب بباريس التي كانت تستعد لاصدار بعض روائع الاعمال في الفترة السرية على هيئة كتاب طبعة منشورات منتصف الليل، التي كانت حتى هذا الحين تصدر جميع الاشياء على اوراق الاستنسل (ميمو جراف) وبعد احتلال الجنوب، كان على بيير سيجهرز ان يقوم برحلات متناوبة الى باريس لهذا الغرض.

وافقت جمعية باريس على ان الأحوال كانت لا تزال قلقة حتى يغير القسم الاصلي لجمعية الكتاب القومية في المنطقتين. وقد قرروا مهما كانت الظروف، على عمل تنظيم اكثر مركزية لنشر الأدب المعادي للنازية في كل من المنطقتين، والتعاون مع جان برولر (فيركورز) وايفون ديزفيني لاعداد كتب لنشرها في داره السرية

(منشورات منتصف الليل) وقد قام بول ايلوار بتمثيل الجمعية في مشروع الكتاب الجديد.

ولعب لويس اراغون دوراً هاماً في هذا العمل بينما كان لا يشارك في الانتاج. فقد كتب كتابين من منشورات منتصف الليل، كما قدم لثلاثة كتب. وبصفته رئيساً لجمعية الكتاب في المنطقة الجنوبية، كان مسؤولا ايضاً عن تقديم المواضيع والمساعدة في تحرير ستة كتب من السلسلة.

* * *

وفي يوليو ١٩٤٣ عندما كان هذا العمل سائراً في طريقه قررت حركة المقاومة ان اراغون كان شخصية شهيرة الأمر الذي جعلهم يخافون على سلامته في مدينة كبيرة مثل ليون. فوعدوه بايجاد مكان يستطيع فيه ان يتحاشى المراقبة. واراد اراغون ان يعود الى ديوليفيت، الا ان هذا الاقتراح قد رفض لخطورته لأن اناساً كثيرين هناك يعرفونه شخصياً. وبعد ذلك بقليل نزح هو والزا الى منزل صغير في قرية سان دونات، حيث وجدناهما ومن هناك، كانا في وسعهما الوصول الى ليون للاجتماعات الشهرية المنتظمة وكانا وحدهما الشخصين الغريبين تقريباً في هذا المكان، وكان القرويون يعرفونهما باسماءمزيفة.

وقد كان الحرص شديداً لتسليم مواد النشر، فاذا ما دعت

الحاجة الى منشور، يرسل بعض الرسل لزيارة الكاتب المكلف بالعمل ويحدد معه المكان. وفي الموعد المحدد يضع الكاتب مخطوطه في المكان المعين وغالباً ما يكون صندوق بريد ريفي او شجرة مجوفة او حفرة بين الصخور. وهو غالباً لا يرى الشخص الثالث الذي يلتقط هذا المخطوط المفرد (لا يحتفظ المؤلف بأية نسخة) ومن ثم يوصلها الى محرر ثم الى طابع. وعلى الكاتب ان ينتظر اشهر حتى يرى كتابته مطبوعة.

وكانت الاجتماعات تعقد في شوارع ضاحية هادئة حيث يتقابل عرضاً صديقان آتيان في اتجاهين متضادين، فيتبادلان الحديث. وبين الاجتماعات، كان اراغون يقوم بتوجيه هذا العمل. وكان ممثله الجوّاب سكرتير جمعية الكتاب، جورج سادول الذي كان يحيا حياة ساحرة حيث كان يقطع طول وعرض فرنسا الجنوبية. وكانت حقيبته الصغيرة متخمة بالمخطوطات او الكراسات والدفاتر المطبوعة. وفي كوخهما الصغير بسان دونات، حيث كان يعتقد السكان المحليون ان لويس والزا من عملاء البوليس الألماني لكثرة سفرهما عن القرية.واصل كلاهما الكتابة، بالرغم من واجباتهما المتشعبة. وهنا كتب اراغون اغنيته القوية التي شهّرت بالألمان وبمعاونيهم الفرنسيين Le Mus'ee Grevin وكتب في هذه الفترة ايضاً بعض اغنياته الأخاذة مثل Celui qui Prelude 'a la Diane Francaise, Ab-Sents de paris, Chante dans les Supplices, Le Penitent 43,

وعدداً من الاقاصيص الرائعة مثل Les Bons Voisins ومجموعة من المقالات والمنشورات ولوحات الورق العريضة والمقالات الجدلية للمجلات والجرائد السرية.

ولم تكن الزا تريوليه بأقل منه حيوية. وقد كانت ترسل دائماً في مأموريات خاصة بسبب اصلها الروسي. فالسجناء الروس كانوا يرسلون الى اماكن موحشة من البلد،كما كانت فلول الحامية تزحف دائماً الى الجبال. وكانت الزا تحاول استمالتهم لاعطاء بيانات قيمة والالتحاق بالحركة السرية. وبالرغم من الاسفار العديدة، اتمت الزا احدى اروع روايات المقاومة القصيرة «عشاق افينيون». والذي يؤكد سرعة خروج المخطوط من المدينةثم القيام بطبعه ونشره ان كلاً من اراغون والزا قد نشرا كتاباً في باريس (منشورات منتصف الليل) في مدة تقل عن شهر واحد، والكتابان المذكوران هما Le Mus'ee Grevin لأراغون و Les Aments d' Avignon لألزا.

* * *

وفي اوائل خريف ١٩٤٣ قررت جمعية الكتاب القوميين الدعوة لعقد اجتماع سري في باريس، لاقرار تفاصيل الشكل النهائي لعملهم قبل الانتفاضة القومية، ولهذا سافر اراغون وزوجه للمرة الثانية الى باريس وكانت اوراقهما – في هذه المرة – مزورة

تماماً. ولما كان من المقرر وضع قائمة بالكتب المعدة للنشر في هذا الاجتماع، فقد حمل اراغون معه مخطوطات عدة كتب ووضعت هذه المخطوطات في حقيبة الزا اليدوية الزاخرة، وكان على رأسها La Facon de Vivre et de Mourir لجبرائيل بيري. وكان يبدو في باديء الأمران رحلتهما ستكلل بالنجاح. فلم يعد هناك خطر خط الحدود المثقل بالحراس الذي واجهاه في ١٩٤١ وعلى حين غرة، في احدى المحطات، صعد عملاء الجستابو وبدأوا في تفتيش القطار تفتيشاً دقيقاً. وقد توقع اراغون وزوجه ان يكون مصير ما يحملانه الضياع.

ودخل العربة جندي في زي الميدان الاخضر وبدأ في فحص المستندات والمتاع فحصاً دقيقاً. وكان هناك عدد من النساء في العربة المزدحمة وقد فتشت حقائبهن اليدوية قبل ان يأتي دور الزا. وكان لحقيبتها مشبك براق جديد. والتقط الجندي الحقيبة ووضع اصابعه على مقبض المشبك.

قال لي اراغون، واصفاً هذا المشهد: «لقد ادركنا اننا انتهينا.. وعندئذ نادى ضابط كان واقفاً في الممر على الجندي. فأعاد الحقيبة الى الزا وخرج. وعندما عاد ثانية نسي ان هناك حقيبة واحدة لم تفتش فألقى بنظره ثم ذهب... ولم نجرأ على التنفس».

وفي محطة باريس، كان في انتظارهما بول ايلوار وزوجه. لقد كانت هذه اللحظة احدى لحظات الحرب الدرامية بالنسبة لأراغون فلم يكن اي من الرجلين قد تكلم مع الآخر منذ ثورة اراغون على السرياليين ١٩٣١. وقد وضعتهما السنوات والمآسي العديدة في نفس الطريق مرة ثانية.

وانقضت هذه الزيارة المختصرة دون اية احداث فقد سلمت المخطوطات، وقدم اراغون وزوجه تقريراً عن اعمالهما في الجنوب في اجتماع للجمعية-حضره بول ايلوار وكلود مورجان وجان بولهان وجان برولر وجان ليسكر وبييرده ليسكور وجان بول سارتر وآخرون غيرهم. وقد رسمت خطط لمساعدة جمعية التحرير القومي.

وكان الاجتماع يعقد مرة واحدة. وقد قويت حركات المقاومة المختلفة وجاء اتحادها نتيجة للاحداث الأخيرة. وقد وضع احتلال الألمان لمقاطعة فيشي، حداً للمناقشات اللانهائية عن امكانية الدور الذي تلعبه فيشي المنعطفة نحو الحلفاء وقد ادى قرب جيوش الحلفاء وهزائم قوات المحور الكبرى في ستالينجراد وليبيا وتونس، ثم في ايطاليا والوعد بدنو دخول فرنسا نفسها، ادى الى شحذ الأمة جمعاء، وفض جميع الاختلافات الطفيفة فيما بين الكتاب، وهي نفس الاختلافات التي كانت تبدو بين الناس على نطاق واسع. وقبل

نهاية اكتوبر، عاد اراغون والزا الى مزاولة العمل في بيتهما بسان دونات.

* * *

كان اراغون صارماً للغاية مع نفسه ومع زملائه. فقد كان مقتنعاً تمام الاقتناع بأن عملهم لم يكن يقل اهمية عن حمل السلاح. وان في حرب المقاومة الغربية احدى صور الكفاح الجوهرية. ولم يساوره شك على الاطلاق في قدرته وقدرة كتاب المقاومة بصورة عامة، في حث الجموع على القتال ضد العدو، وألقى على فئة معينة من الوطنيين الآخرين تبعة القيام بعملية تكوين الجماهير الثائرة في وحدات قتال من جماعات المقاومة. واصر اراغون على عدم اشتراك اي من كتّابه في هذا العمل.

واني لأتذكر غضبه عندما عاد الشاعر الشاب الموهوب جان مارسيناك، الذي كان رجل الاتصال لجمعية الكتاب، بعد «تضييع» شهرين في القتال مع قوات الماكي. فقد ارسل في مهمة هامة حاملاً مخطوطات الى مدينة بعيدة قبل رجوعه بشهرين ولكنه في اثناء عودته، قد تملكته حمى الحماس فالتحق بجماعةمن اصدقائه من قوات الماكي، وقد عنفه اراغون في حضوري تعنيفاً قاسياً لاهماله واجبه.

وعندما ذهب مارسيناك اخبرني اراغون عن هروبه من معسكر

السجن الألماني عام ١٩٤٣ «انه احد شعرائنا الذين سيكون لهم شأن في المستقبل. واني افهم لماذا فعل ذلك. كيف لنا ان نتوقع من الشبان الذين يعانون ما نعانيه أن لا يكرهوا الألمان وان فرصة محاربتهم مرة اخرى يجب ان تكون مما لا سبيل الى مقاومته».
وكان اراغون يشكو من استغراق بعض اعضاء جماعته في العمل المضني، الا انه يشعر دائماً بما يحثه على المشاركة في جانب القتال للمقاومة، ليجرب كل ما ينوط بها من عواطف ومخاطر وذات مرة في يوليو ١٩٤٤، دعى هو والزا للحضور، عندما تُلقى الاسلحة في باراشوتات في منطقة سان دونات. واذا هما لم يحضرا فربما اتهما بالخيانة. لذا تسلقا ذات ليلة، مكاناً يعلو قريتهما، واخا يترقبان في قلق تحت النجوم اللامعة حتى اتت الطائرات وألقت بحمولتها الثمينة. وبعد ان خبئت الاسلحة والمعدات في كهف قريب، تفرق الجمع وعاد اراغون والزا الى قريتهما في الفجر..

وقد ناما ساعة واحدة في شيء من الصعوبة ثم ازعجتهما الطائرات الحربية الألمانية وهي تحصد شوارع سان دونات بالمدافع الرشاشة. وجاء في تقرير الرسل ان اسراب الدبابات والمدرعات الألمانية كانت تتسابق الى القرية من جميع الاتجاهات وكان على لويس اراغون والزا أن يتخفيا مرة ثانية ومن ثم يهربان الى بساتين الكروم المجاورة على المنحدرات الواقعة بأعلى القرية، ملازميّ الظلال حتى يتفاديا رصاص الطائرات الالمانية المخربة. واستمر الألمان

طيلة اليوم في نهب وتخريب بيوت سكان سان دونات ولم تكن الفرق التي ساهمت في هذه الحملات التأديبية خلال فترة الانتفاضة القومية، على شيء من الشجاعة. وكانت غالباً ما تتراجع الى بعض المدن المحصنة في الوديان عندما يهبط الليل، وعندما عاد اراغون والزا من التلال لمساعدة جيرانهما في اصلاح ما فسد، وجدا ان منزلهما قد نهب، كما خلعت ابوابه. وقد اغتصب سبع وخمسون من الفتيات والنساء تتراوح اعمارهن بين ١٣ — ٥٨ عاماً، وقتل ثمانية رجال ونهبت جميع الحوانيت والمنازل، وسلب هؤلاء الوندليون الجدد ابسط ما في البيوت من متاع.

ونشر اراغون دون ان يضيع وقتاً — عدداً من النشرات السرية رداً على دعاية فيشي آنئذ، التي كانت تلقي اللوم، من جراء هذا السلب والنهب على قوات الماكي، التي نتج عن فعاليتها غير المشروعة ما انزله الألمان من مظالم على الابرياء.

وبيّن اراغون ان هذه الحملات التأديبية هي آخر اعمال للنازيين المحاصرين اليائسين، على امل ان يشلوا الناس بالخوف، وان الرد الوحيد على مثل هذه الأعمال السادية هي الثورة السافرة.

وفي هذه الأشهر الأخيرة حصل اراغون على سيارة. وكان والزا يزوران بانتظام قيادة الماكي بناحية دروم، لحضور مجالس الشورى للحرب لاسداء النصح، فيما يختص بالرأي العام، ولمعاونة

قيادة الماكي في دعوتهم لتلقي المساعدات من الناس. وعندما وصلتهم الاخبار المثيرة بدخول نورماندي، سرعان ما خرجوا على تقاليدهم وشرعوا في تحرير جريدة الكفاح لناحيتهم La Drome en Armes وصل معدل توزيع اول عدد منها ۲۰٫۰۰۰ نسخة، الى جانب الاشتراك في جريدتين اخريين بلغ توزيعهما المعدل نفسه، صدرتا في ديوليفيت في الجزء الجنوبي من المنطقة وهما :

1 _ La Resistance de la Drome.

2 _ Le Patriote de la Drome

وكانت هذه الجرائد شيقة نابضة وما زالت حتى اليوم،لما كانت تتضمنه من تقارير التجمعات المحلية التي وسمت الانتفاضة القومية وجعلت من هذه المنطقة باسرها ميدان قتال حثيث. وربما تضمنت اروع تقرير نشر عن معركة مرتفعات فيركورز الكبرى حيث حوصرت اربع فرق المانية لها قدرها في جبال فرنسا في الاسابيع الواقعة خلال غزو نورماندي وغزو الريفييرا الجنوبية.

* * *

وعندما قامت صفوف الدبابات الفرنسية والاميركية بتحرير ليون وزحفت حتى وصلت نهري الساؤون والآين نحو الألزاس، اغلق اراغون والزا بيتهما الصغير في سان دونات، وودعا الناس الذين عاشا بينهم تلك اللحظات التاريخية المثيرة، والذين عرفوا

الآن – للمرة الاولى – شخصيتهما الحقيقية، ومن ثم عادا الي ليون. وقد انشغل اراغون عدة اسابيع في استقصاء مصير زملاء عديدين وفي تنظيم اول اجتماعات عامة لجمعية الكتاب وفي الاشراف على عمل الوزارة الرسمية الجديدة لمكاتب الاستعلامات الخاصة بالمنطقة.

وبعد خمس سنوات في هذا العمل المضني كان كل ما في داخله يصيح مستغيثاً في سبيل الحرية ليكتب، وللتخلص من السجن في وظيفة روتينية في دولاب الدولة الذي كان عليه ان يُشيد عندئذ من الانقاض. وقد اقترح تعيينه، قبل التحرير، كمندوب الجمهورية على ناحية مارسيليا، غير انه وجد من يحل مكانه وبعد ذلك حث على قبول الوظيفة نفسها في تولوز، وشد ما كان سعيداً عندما وجد صديقه الطّيب جان كاسو، احد ابناء تولوز، الذي بايعه لأهليته لهذا العمل.

وكان حراً، الى حين ما، فاندفع لانجاز كتابه الشعري La Diane Francaise ولاعداد الخطوط التكوينية لرواية عن عهد المقاومة.
الا انه لم يستطع الهرب بهذه السهولة فقد اعيدت، بعد تحرير باريس Le Soir التي كان يشارك في تحريرها قبل الحرب . وكان جان ريشار بلوش زميله السابق، لا يزال في الخارج، بعد ان هرب من قبض وشيك عام ١٩٤١. لذا طلب من اراغون القيام بالعمل

حتى عودة بلوش. وعندما وصل باريس لم يستطع الرفض. ولم يحرر حتى عاد بلوش اخيراً في شهر ديسمبر.

وقد ظل اهتمامه بجمعية الكتاب قوياً كما كان من قبل. ووجد الوقت الكافي ليدبر مع كل من جان برولر وبيير دي ليسكور وبول ايلوار، القيام بعملية اعادة نشر الاعمال الادبية التي اصدرتها جمعية الكتاب اثناء الاحتلال. وساعد في تأسيس Les Lettres Francaise كخليفة للمجلة التي كانت تصدر قبل الحرب باسم Nouvelle Revue Francaise وساعد ايضاً في ان يعيد الى باريس كلا من المجلتين اللتين كانتا تصدران في الجنوب وتلعبان دوراً قيماً في الكفاح وهما Confluences, Po'esie. وفي شهر نوفمبر ذهب لحضور الجلسة الاولى لجمعية الكتاب القومية — التي اصبحت حرة وقتئذ — في تولوز. وهناك، رأى كاسو الذي قد جرح جرحاً بليغاً في ايام التحرير الأخيرة، كما رأى بعض زملائه المفقودين. وبمقابلة معلومات كل منهم، علم الكتاب عن كثير من الآخرين الذين قتلوا اثناء قتالهم في الماكي او رحلوا الى المانيا.

ان قصة لويس اراغون اثناء الاحتلال الألماني لفرنسا هي في الواقع قصة حركة المقاومة من خلال تجارب رجل واحد. وهي فضلاً عن ذلك قصة قائد واعٍ لحركة المقاومة، رجل كان يقوم، كالآلة، بتنظيم عمل عشرات الكتاب ضد قاهريهم، رجل فضح

العدو امام مواطنيه واثار فيهم شعوراً جديداً بالثقة في انفسهم وقوتهم للقيام بتحرير ارضهم. ربما لا يدعي لويس اراغون نفسه انه الكاتب الرائد أو منظم حركة الكتّاب في هذا العهد فقد يُرجع نجاح عملهم الى اشخاص كثيرين اقل شهرة منه. لكنها معجزة فرنسا هي التي انجبت – في الاقل – خمسة كتّاب لهم مثل حيويته وقوته في الكتاب وهم : بول ايلوار وجان برولر وجاك ديكور وبيير سجهرز وجان ليسكور الى جانب حشد من الآخرين الذين حاربوا في شجاعة لا تقل عنه. وبعض اجزاء قصة اراغون تجمع طابع البطولة، ومع ذلك فقد يكون اول من ينكر القيام بدور بطولي.

كان اراغون يعتبر كل ما يفعله واجباً لنمط جديد من الجنود في نمط جديد من الحروب. وعندما دعا التحرير جميع الناس للشروع بالقتال، شعر ان الكتاب قاموا باعمالهم بشكل فعال اكثر من الجنود الذين قاموا بدورهم اثناء القتال عام ١٩٤٠. وان ما يتضح في كتابات وأفعال اراغون من عودة الثقة والتأكد من امكانيته وقدرته الشخصية عندما ارتفع من المقاومة لطرد الغزاة، ليعتبر مثالاً لبعث فرنسا والشعب الفرنسي. ولم يكن يسمح اراغون لنفسه ابداً، شأن كثير من الكتاب الفرنسيين الشيوخ، بأن ينقطع عن مد تيار المقاومة الفتي في فرنسا. فقد كان جزءاً جوهرياً منه، كما هو جزء من فرنسا الجديدة اليوم.

قصائد لأراغون

بــــاريس

حيث يوجد الخير في قلب عاصفة الغضب

حيث يصفو قلب الليل

الهواء كحول وسوء الحظ شجاعة

اطارات النوافذ مكسورة الأمل لا يزال يشع هناك

ومن الحوائط المهدمة ترقى الأغنيات الهواء

لمُ يطفأ ابداً بُعثَ من لهيبه

هذا الوهج الخالد لوطننا

من بوا دوجور الى بير لاشيس

في اغسطس احلى اشجار الورود المزهرة

الناس في كل مكان دم باريس

لا رواء مثل باريس تحت هذا الغبار

لا شيء في نقاء موجة جبينها المتفتقة

لا شيء في مثل هذه القوة لا النار ولا الرعد

مثل باريسي.. مخاطرها تتحدى الشجعان

لا شيء فاتن مثل باريس التي املك

لا شيء من قبل جعل قلبي ينبض هكذا

لا شيء ألف بين ضحكاتي ودموعي هكذا

مثل هذه الصرخة لمواطنّي المنتصرين

لا شيء عظيم قدر كفن ممزق منسول

باريس، باريس حررت من نفسها

سانتا اسبنيا

اني لأتذكر نغمة تعودنا سماعهافي اسبانيا
جعلت قلبي يزداد خفقانه، ونحن كنا نعرف
دائماً عندما اضطرم دمنا مرة اخرى
لماذا كانت السماء الزرقاء من فوقنا زرقاء

اني لأتذكر نغمة مثل صوت البحر العاري
مثل صيحة الطيور المهاجرة، نغمة خلّفت
في الصمت، بعد الألحان، تنهدة مكتومة
ثأر البحار المالحة من قاهريها

اني لأتذكر نغمة سمعت صفيرها في الليل
في زمن لم يعرف الشمس، عصر بلا فارس أفّاق
عندما كان الاطفال يبكون من القنابل، وفي المقابر
كان الشرفاء من الناس يحلمون بنهاية الطغاة

حملت في اسمها العوسجات المقدسة التي خدشت
جبين اله عندما علق على اعواد المشانق

الاغنية التي سمعت من خلال الهواء وشعر بها اللحم
فتحت الجرح في جنبه وأحيت حسراته

لم يجرأ احد على الغناء للهواء الذي كان يترنمون به
كانت جميع الكلمات ممنوعة والآن اعرف
ان الكون دمره مرض خبيث عنيد
لقد كان أملك وشهرك ذا ايام الآحاد. آه

عبثاً اقتفي اثر ترنيمتها الهادرة
لكن دموع الأرض، الآن، دموع اوبرا
ذكرى امواهها الموشوشة المفقودة
نداء الغدير على غدير، وفي هذه السنوات الصماء

ايتها الاشواك المقدسة، الاشواك المقدسة، ابدئي ثانية
فلقد تعودنا ان نقف عندما كنا نسمعك منذ بعيد
والان لم يبق أحد ليجدد السلالة
الغابات صامتة، المغنون ميتون في اسبانيا

أود لو أصدق ان الموسيقى لا تزال

في قلب هذه المدينة، ولو مخبوءة تحت الأرض
سوف ينطق الأخرس والمشلولون
سوف يسيرون في يوم بديع الى صوت القبِلة المنتصر

ان تاج الدم، رمز القلق والأسى
سوف يسقط من جبين ابن الانسان في هذه الساعة
وسوف يغني الانسان في صوت مرتفع في هذا الغد الحلو
لجمال الحياة وشجرة الزعرور المزهرة

الزا امام المرآة

في اوج مأساتنا
كانت طوال النهار جالسة ازاء مرآتها
تسرح شعرها الذهبي اللامع. وكان يخيل اليّ
ان يديها الوديعتين ترتبان اللهيب
في اوج مأساتنا

كانت طوال النهار جالسة امام مرآتها
تسرح شعرها الذهبي اللامع، كمن يعزف
في اوج مأساتنا
على قيثار ذهبي بلا ايمان، مقضية
الساعات الطويلة جالسة امام مرآتها

تسرح شعرها الذهبي اللامع، كأنها
تضحي راضية بذكرياتها
طوال النهار وهي جالسة امام مرآتها
ولا تزال تُحيي ورود اللهب المبددة
صامتة كأي شخص آخر

قد ضحت راضية بذكرياتها
في اوج محنتنا القاسية
مرآتها السوداء كانت صورة العالم
ومشطها وهو يجعّد نيران هذه الكتلة الحريرية
اضاء اركان ذاكرتي

في اوج ايامنا القاسية
كما ان يوم الخميس يقع في منتصف الاسبوع
رأت وهي جالسة امام ذاكرتها
خلال المرآة (لكنها لم تتكلم)

رأت الذين نمدحهم في هذا العالم المظلم من يمثلون ادوار
مأساتنا، وهم يموتون الواحد اثر الآخر
لا حاجة لذكر اسمائهم فأنت تعرف اية ذاكرة
تحترق فوق اتون هذه الايام المتهرئة.

وفي شعرها الذهبي عندما تجلس هناك
تسرحه في صمت، ينعكس اللهيب

- س -

عبرت جسور (سيه)
هناك حيث بدأ كل شيء

اغنية من العهود الماضية
تحكي عن فارس جريح

عن زهرة فوق الرصيف
وصدرية امرأة مفكوكة الرباط

عن قصر دوق مجنون
وبجع في الجحور

عن البراري التي تأتي منها راقصة
عروس خالدة

وشربت كاللبن المثلج

قصائد طويلة عن امجاد زيفت

نهر اللوار يحمل افكاري
مع العربات الغارقة

والأسلحة المنزوعة
والدموع التي لم تمح جيداً

آه يا وطني فرنسا يا مهجورة
لقد عبرت جسور (سيه)

الدموع تتجمع

في السماء الرمادية ذات الملائكة المصنوعة من خزف
في السماء الرمادية ذات النحيب المختنق
تذكرت تلك الأيام في (مايانس)[1]
في الراين الأسود كانت تبكي الحوريات

كانوا يجدون احياناً في قاع الأزقة
جندياً صرعته ضربة خنجر
كانوا يجدون احياناً هذا السلام القاسي
على الرغم من نبيذ الجبال الأبيض

شربت الخمر الرائعة بالكريز
شربت العهود المتبادلة في همس
كم كانت القصور والكنائس جميلة
كنت في العشرين من العمر لا افهم

---

(١) مايانس : مدينة المانية على الضفة اليسرى من نهر الراين فيها كاتدرائية شهيرة وتعد مركزاً صناعياً هاماً وفي حرب ١٧٩٣ خاض فيها الفرنسيون معركة شهيرة.

ماذا كنت أعلم عن الهزيمة
عندما يكون وطنك حباً محرماً
عندما يلزمك صوت الانبياء المزيفين
لتعيد الحياة للأمل الضائع

اني اذكر الاغنيات التي تطوقني
اني اذكر علامات بالطباشير
يكتشفونها في الصباح على الجدران
دون ان يستطيعوا حل رموزها

من يستطيع ان يقول من اين تبدأ الذاكرة
من يستطيع ان يقول متى ينتهي العهد الحالي
عندما يلحق الماضي بالأغنية العذبة
عندما يصير الحزن ورقة اصفر لونها

كالطفل فوجىء وسط احلامه
نظرات المنتصرين الزرقاء مقلقة
وخطوة الجنود في نوبة الحراسة
يئن لها السكون المخيم

عيـــون الـــزا

عيناك من شدة عمقهما رأيت فيهما وانا انحني لأشرب
كل الشموس تنعكس
كل اليائسين يلقون فيها بأنفسهم حتى الموت
عيناك من شدة عمقهما.. اني اضعت فيهما ذاكرتي

في ظل الطيور يوجد المحيط المضطرب
ثم فجأة يشرق الطقس الجميل وتتغير عيناك
الصيف يطوق الطبيعة العارية بمئزر الملائكة
السماء لم تكن ابداً زرقاء كما هي فوق القمح

الرياح تذرو بلا طائل احزان الزرقة
عيناك اكثر صفاء منها عندما تتألق فيهما دمعة
عيناك تجعل السماء التي تعقب المطر غيورة
الزجاج لا يكون ابداً اشد زرقة الا عند تحطمه

أم لسبعة احزان يا ايتها الضياء المبتلة

سبعة سيوف اخترقت مخروط الألوان
النهار أشد حسرة وهو يزغ بين الدموع
قوس قزح يثقبه سواد اشد زرقة من ان يكلل بالحزن

عيناك في الحزن تفتحان شقاً مزدوجاً
عن طريقه تقع معجزة الملوك
عندما رأوا ثلاثتهم بقلب خفاق
رداء مريم معلقاً في الحظيرة[١]

فم واحد يكفي في شهر مايو كلمات
لكل الأغاني وكل الحسرات
قليلة جداً رقعة السماوات لملايين الأنجم
كانت تلزمهما عيناك وسحرهماالتوأمان

الطفل الذي تسيطر عليه الصور الجميلة
يحدق بعينيه باتزان غير كثير
وعندما تحدقين بعينيك لا ادري اذا كنت تكذبين
كأن المطر الغزير قد فتح ازهاراً برية

(١) الحظيرة هنا (cr'eche) يقصد بها الشاعر المكان الذي ولدت فيه مريم المسيح.

أتخفيان بروقاً في هذا العشب العطري حيث[1]
تضرم حشرات حبها العنيف
لقد سقطت في شباك النجوم الطائرة
كصياد يموت في البحر في اوج شهر اغسطس

لقد استخرجت هذا الراديوم من طبقات المعدن
وحرقت اصابعي في هذه النار المحرمة
أيها الفردوس الموجود المفقود مائة مرة
عيناك هما (بيرو) التي لي و (جولكوند) وجزر الهند

حدث ذات مساء جميل ان تهشم الكون
على صخور الشاطىء التي اشعلها القراصنة
انا قد رأيت تتألق فوق البحر
عينا الزا عينا الزا عينا الزا

---

(١) العشب العطري كتبه الشاعر (Lavande) وهو ما يعرف بماء اللاوند الذي يتعطرون ، كما يستخدم في حفظ الثياب من الحشرات.

شـــــكاية
لأرغـن البربريــة الحديثـة

[هؤلاء الذين وقفوا وراء السدود
[عادوا في كبد الظهيرة
[موتى من التعب قد جنّوا من الغضب

عادوا في كبد الظهيرة
النساء قد انحنين تحت حملهن
والرجال يشبهون الملاعين

[النساء قد انحنين تحت حملهن
[يبكين اللعب الضائعة
[واطفالهن قد فتحوا عيونهم الواسعة

يبكون لعبهم الضائعة
الأطفال يرون دون ان يفهموا
آفاقهم التي أُسيء حمايتها
[الأطفال يرون دون ان يفهموا

[المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
[وحانوت البقالة الكبير اصبح رماداً

المدفع الرشاش على تقاطع الطرق
الجنود يتكلمون بصوت خفيض
والكولونيل يقف في فناء

[الجنود يتكلمون بصوت خفيض
[يحصون جرحاهم وموتاهم
[وفي مدرسة في أحد الفصول

يحصون جرحاهم وموتاهم
وعددهم ماذا نقول
يا صديقتي يا اشجاني

[وعددهم ماذا نقول
[انهم ينامون مع صورهم
[السماء تبعث من أجل البلابل
انهم ينامون مع صورهم

على محفات من قماش أغبر
سوف يدفنون قريباً

[على محفات من قماش أغبر
[يحملون الشباب
[البطن مضرجة بالدم والجلد أربد

يحملون الشباب
ولكن من يدري جدوى هذا
سيموتون.. دعهم ايها الجندي

[ولكن من يدري جدوى هذا
[اذا جاءوا الى (سان اومير)
[ماذا سيجدون بيننا

اذا جاءوا الى (سان أومير)
سيجدون العدو
دباباته تفصلنا عن البحر

[سيجدون العدو

[يقولون انهم استولوا على (ابفيل)
[فلنتحمل خطايانا

يقولون انهم استولوا على (ابفيل)
هكذا يقول رجال المدفعية
وهم يرون المدنيين يمرون

[هكذا يقول رجال المدفعية
[اشبه بالظلال المصبوغة
[العيون هنا والرأس هناك

اشبه بالظلال المصبوغة
اذا رآهم عابر طريق فجأة
يضحك بوحشية لشكاواهم

[اذا رآهم عابر طريق فجأة
[كانت الدنيا سوداء كالألغام
[كانت الدنيا سوداء كالحياة
كانت الدنيا سوداء كالألغام

هذا العملاق الذي يعود الى بيته
في (مريكور) أو (سالومين)

[هذا العملاق الذي يعود الى بيته
[سيصرخ فيهم لا يهمنا سوف يعودون
[ولو كانت هي القنابل أو المطر

سيصرخ فيهم لا يهمنا سوف يعودون
الأفضل مائة مرة أن يمزق الانسان في بيته
برصاصة أو اثنتين في البطن

[الأفضل مائة مرة أن يمزق الانسان في بيته
[من ان يذهب الى أرض غريبة
[الأفضل الموت حيثما تعيشون

من أن يذهب الى أرض غريبة
سنعودسنعود
القلب مثقل والفكر نشط

[سنعودسنعود

[بلا دموع بلا أمل بلا سلاح
[نحن الذين اردنا الرحيل ولكن كلا

بلا دموع بلا أمل بلا سلاح
هؤلاء الذين يحيون هناك في سلام
هرعوا الينا برجالهم المسلحين

[هؤلاء الذين يحيون هناك في سلام
[اعادونا تحت القنابل
[قالوا لنا لن يمروا

اعادونا تحت القنابل
حسناً لقد عدنا هنا
لا حاجة لأن نحفر قبورنا

[حسناً لقد عدنا هنا
[مع اطفالنا ونسائنا
[لا حاجة لأن نقول شكراً
مع اطفالهم ونسائهم

(سان كريستوف) قديس الطريق الكبير
لقد رحلوا من جانب اللهب

[سان كريستوف قديس الطريق الكبير
[العمالقة الذين كانوا يتجسدون
[حتى بلا عصا في اليد

العمالقة الذين كانوا يتجسدون
على سماء ابيضت من الغضب

الــزا احبــــك

في ثنايا القبل
تمر الأعوام سراعاً
تجنبي تجنبي تجنبي
الذكريات المحطمة

آه من فصل بأكمله طاب العيش فيه
هذا الصيف كان بالغ الجمال كصيف الكتب
مجنون حينما اعتقدت ان بوسعي ان اجعلك سعيدة
حينما كانت هناك غابة (جران شارتريز)
حيث سحر أمسية في ميناء طولون
قصيرة هذه السعادة التي تزدهر عليلة في الظل

في ثنايا القبل
تمر الأعوام سراعاً
تجنبي تجنبي تجنبي
الذكريات المحطمة

شدوت في العام الماضي عندما اصفرت الأوراق
هذا الذي يقول وداعاً يؤمن مع ذلك بالعودة
هذا الذي يحدث يحسب ان العالم سيبعث
لم يبق هناك شيء من كلمات الغزل
انظري في عيني اللتين تريانك رائعة الجمال
ألم تعودي تسمعين قلبي ولا نفسي ولا جنوني

في ثنايا القبل
تمر الأعوام سراعاً
تجنبي تجنبي تجنبي
الذكريات المحطمة

السماء لا تتغير بالنسبة لعازف البيان الشاحب
الذي يغني بعض كلمات هي نفسها دائماً
حبيبتي اتذكرين هذه الأيام الخالية من الخوف
عندما كنا نحيا معاً في (مونبارناس)
لكانت قد انصرمت الحياة دون انتباه
البرد كان قد عاد في المساء والقلب تأخر

في ثنايا القبل
تمر الأعوام سراعاً
تجنبي جنبي تجنبي
الذكريات المحطمة

هذه النغمة التي اعجبتك لموسيقاها الحزينة
عندما اعطيتها لك كزهرة البرسيم الذابلة
مجدبة تنام في اعماق ذاكرتي
اني استعيدها اليوم من صوان النسيان
لأنك كنت على الأقل تجنيها عندما يغنون
الزا احبك يا لمستي يا ماكرتي

في ثنايا القبل
تمر الأعوام سراعاً
تجنبي تجنبي تجنبي
الذكريات المحطمة

اعيدي هذه الهمسة البللورية الرتيبة

فلن يكون بلا حدوى النغم المترنم
يقول آلياً كلمات كالسحر
سيأتي يوم تأخذ فيه الكلمات شكل الدموع
آه فلنغلق هذا المصراع الذي يصطفق دون أن يسمع
هذا النغم المائي المعاد يسقط كالقطرة

تجنبي تجنبي تجنبي
الذكريات المحطمة في ثنايا القبل
الأعوام تمر سراعاً

شظايا

(نشرت في العدد (٧٠٩) من الآداب

الفرنسية الصادر في ١٩ شباط ١٩٥٨)

(١)

كُفَّ عن الشكوى فليس أدعى

للسخرية من انسان يشكو

إن لم يكن يبكي

(٢)

أتجول

وسكين من القتام مغروزة في نفسي

أتجول

وهرةٌ في مخيلتي

أتجول

ومعي اناء زهر ذابل

وصور مصغّرة

أتجول

بأطمار بالية
أتجول
وثقب كبير في قلبي

(٣)

صدقني
أن لا شيء أجلب للألم
مثل التفكير

(٤)

كلما كانت القصيدة قصيرة
كانت اكثر تغلغلاً في النفس

(٥)

لنطرد هذا الشاعر من المدينة
فليس في المدينة متسع
لمثل الألم هذا

(٦)

لقد صنعنا كل شيء للذين يختنقون
كل شيء للذين يريدون ان يتنفسوا
بنينا على الليل نوافذ
فتحنا في كل مكان ملاجىء

فوفروا علينا مؤونة الشكوى

(٧)

لا شيء مطلقاً أجملِ من بسمة
حتى على وجه مشوه
ألا يهمك ان تكون جميلاً؟

(٨)

احمل بعيداً هذه الخطُى الجريحة

(٩)

كم انت علىٍ حق اذ تحوّل عيونك
عن الذي يدمى

(١٠)

كل شيء في مكانه تماماً
أو كل شيء في الأقل سيكون

(١١)

ايها المتسوّل
اغسل يدك الممدودة

(١٢)

من يقول انا اتألم
ينسى الآخرين

(١٣)

لا يكفي ان تصمت
انما عليك ان تعرف كيف تقول شيئاً آخر

(١٤)

ملعونة النبتة
التي لا تبهج العيون
لا حق للشاعر
أن يبقى هكذا دون ان يزهر

(١٥)

ليس ثمة جرح
لا يستطيع قليل من التجميل
أن يصنع منه فماً
أو ثمة صيحة لا نستطيع تحويلها..
ان الجريمة الوحيدة هي عدم التناغم

(١٦)

اتكلم ايضاً للذين لا يستطيعون النوم
انهم ليسوا وحيدين ما دمت أشبههم
اتكلم ايضاً للذين يشفقون أن يموتوا
لماذا تقولون انني أناني؟

(١٧)

الحياة مليئة بالشظايا
ولكنها مع ذلك الحياة

(١٨)

وانه لمن المريح احياناً ان نصرخ في الليل

(١٩)

ومرة اخرى ستحول بعد اليوم بينك وبين المرآة
عيون الأطفال الموتى هذه

(٢٠)

أتعرف كلمة الخجل

(٢١)

حاولوا ان تدخلوا في بيت شعر فونسي
هذه الكلمة التي تشبه الخنجر «ساقية سيدي يوسف»

المحتويـــات

الصفحة

١ – اراغـون

٢ – قصائد لاراغون

اراغون شاعر المقاومة

قلت لي : «اقلع عن الاوركسترا الصاخبة

لأنه يوجد الآن كثير من الفقراء

لا يستطيعون شراء قواميس ومعاجم

يستنبطون منها معاني ألفاظي

فهم يفضلون ويحبون الألفاظ العادية

التي يمكنهم ترديدها»

وأجيبك انني سأفعل

سأترنم بما يترنم به كل فم

«اراغــون»



المؤسسة العربية للدراسات والنشر
تلكس: LE/DIRKAY